جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا
كلية الدراسات العليا
كلية اللغات
قسم اللغة العربية

دور ابن جني في إثراء اللغة من حيث الجوانب الصوتية والنحوية من خلال نماذج من كتابه الخصائص

The Role of Ibn Jinni in Enriching the Language in Terms of Sound and Syntactical Aspects Through Samples from His Book Elkhasais

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية

إعداد الطالبة:

عرفة صالح أحمد إدريس

إشراف البروفيسور:

بابكر النور زين العابدين

1442هـ - 2021م

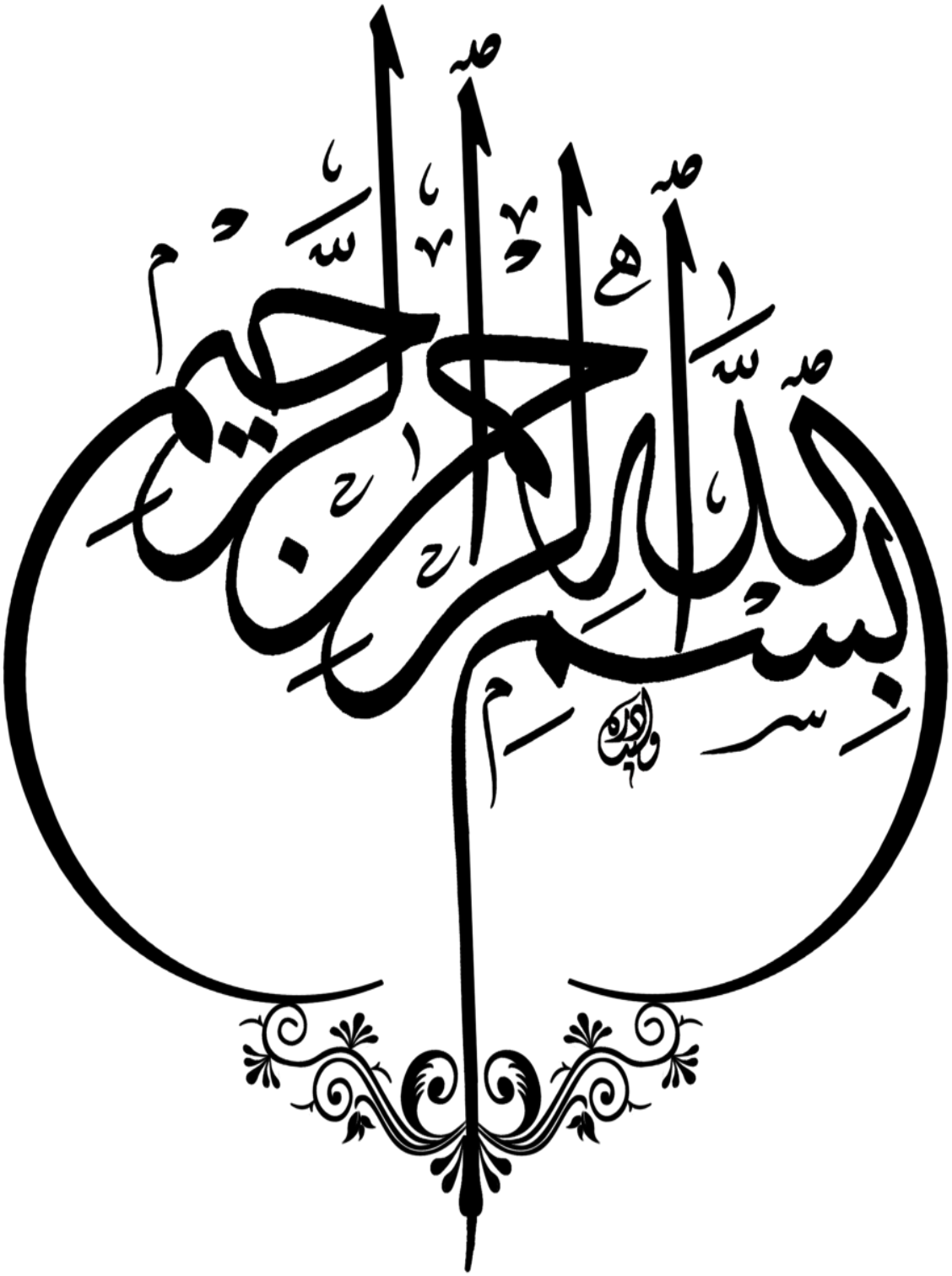
بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

قال تعالى:

"مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا"

صدق الله العظيم

سورة الفتح الآية (29)

إهداء

إلى من شاد لنا مجداً وعزاً بجهده وعنائه

إلى روح والدي يرحمه الله

إلى شمس الحكمة ورمز العطاء

أمي حفظها الله

إلى النظم النضيد والعقد الفريد

أخواتي الجليلات

إلى أشقائي الأماجد وزوجي الكريم وكل من نهلت معهم كؤوس الود

وأخص مريم ومواهب وفاطمة

إلى أساتذتي الذين أشرق نورهم في عقلي وروحي فانبثق هدى ورشاد

أهدي هذا البحث المتواضع

الباحثة

شكر وعرفان

الشكر لله رب العالمين الذي أعانني وسدد خطاي وهداني لصراطه المستقيم

أشكره وأحمده

وصلى الله على نبيّه وحبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

والشكر لكل أساتذتي على مر المراحل التعليمية

وأخص بالشكر أساتذة جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

نشكرهم على ما بذلوه من جهود في إعمار هذا الصرح العلمي بالمناقشات والندوات العلمية

وما لهم من أياد في تخريج أساتذة وباحثين من هذه الجامعة

كما أخص بالشكر أستاذي الدكتور بابكر النور الذي

أعطى عطاء القادرين مسوراً *** بين الصدور المجد والأحلاما

أشكره على حسن تعاونه وأريحيته

وجزاه الله خير الجزاء

الباحثة

المستخلص

هذه الدراسة حلقة من حلقات البحث في مجال اللغة وهي تهتم بدراسة ابن جني من خلال كتابه الخصائص (بعنوان ابن "جني" دوره في إثراء اللغة من خلال كتابه الخصائص) وقسمت البحث إلى ثلاثة فصول.

الفصل الأول ابن جني وحياته وشيوخه ومذهبه اللغوي والفصل الثاني تناولت فيه كتاب الخصائص وهو كتاب له قيمة في مجال اللغة، والفصل الثالث فيه التصريف والاشتقاق والدلالة الصوتية، واتبعت المنهج الوصفي وكان أهم الأهداف دارسة ابن جني اللغوية والوقوف على جانب من كتاب الخصائص.

ختمت البحث بخاتمة ظهرت فيها نتائج أهمها إن لابن جني جهود يكاد يتفرد بها والذين جاءوا بعده اعتمدوا عليها كثيراً، وأوصي الباحثين من بعدي بدراسة الجوانب الدلالية في كتاب الخصائص.

Abstract

This study is one of the research seminars in the field of language، which is a study of Ibn Jinni through his book Characteristics (entitled The Role of Ibn Jinni in Enriching Language through his Book of Characteristics) and the research was divided into three chapters.

The first chapter، Ibn Jinni، his life، elders، and his linguistic doctrine، and the second chapter in which I dealt with the Book of Characteristics، which is a book of value in the field of language، and the third chapter in which is the conjugation، derivation and phonemic connotation.

I concluded the research with a conclusion in which the most important results emerged، the most important of which is that Ibn Jinni's efforts are almost unique to those who came after him، and relied on them a lot، and I recommend researchers after me to study the semantic aspects in the Book of Characteristics.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم (الْحَمْدُ للَّهِ الَّذي أَنْزَلَ عَلَى عَبْده الْكتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عوجًا)[1] الحمد لله الذي جعلَ العربَية مفتاح كتابه المَبَينَ، وسر إعجازه للعالَمين والصلاة والسلام على أفصح العرب ذو اللسان العربي المبين، ونصلى على سيدنا محمد المبعوث بجوامع الكلِم المخصوص بالوحي والإلهام، على أصحابه القائمين بنصرة الإسلام وبعد:

إن للعربية براعة خصت بها مما جعلها تمتزج بالأفئدة والعقول، فدخلت التاريخ مع خير أمة اخرجت للناس، ويزيد العربية فخراً أن أكثر علمائها الذين ضربوا بسهم وافر في إجادتها كانوا من الاعاجم كشيخ العربية (سيبويبه) وعبقريها (أبو الفتح عثمان ابن جني) الذي قال فيها: (لو أحست العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة، وما فيها من الرقة والدقة لاعتزرت من إعترافها بلغتها فضلاً عن التقديم لها.

أهداف الدراسة:

لا شك ان دراسة العربية وبناء فكرها المعاصر يبدأ من إستعادة قراءة التراث على ضوء الفكر الحديث وهذه الدراسة التي بين أيديكم محاولة مني لذلك نعيد فيها قراءة تراثنا القديم من خلال جهد العالم ابن جني الذي وجدت إن معظم ما توصل إليه من حقائق علمية، خاصة في مجال الدراسات النحوية والصوتية والدلالية من القرن الرابع الهجري لم تكتشف الآلآت الحديثة في معامل الصوتيات الحديثة إلا بعد ألف عام مغيب شمسه من الوجود، ولعلها قد أستمدت منه ماهداها ومهد لها سبيلها واردت أن أقف على ذلك من خلال كتاب يعد خلاصة فكرة اللغوي إلا وهو كتابة الخصائص او

([1]) سورة الكهف الاية (1).

خصـائص العربيـة وهـو مـن الكتـب التـي أقـر المجلـس الاعلـى لـدار الكتـب المصرية طبعها عام 1993م ضمن مشروع إحياء الآداب العربية.

منهج الدراسة :

أمـا المـنهج الـذي أتبعـه فهـو المـنهج الوصـفيالتأريخي والتحليلـي مـن خـلال تتبـع القضـايا الصـوتية الـواردة فـي كتـاب الخصـائص وثـم القيـام بوصـفها وتحليلهـا مسـتعينة فـي ذلـك بـأراء ابـن جنـي المثبوتـة فـي كتبـه وآراء العلمـاء المعاصـرين لـه والسـابقين ثـم مقارنـة ذلـك بماتوصـل إليـه علـم اللغـة الحـديث مـن قـوانين ونتائج.

أسباب اختيار الموضوع:

1-التعـرف علـى جهـود ابـن جنـي وعقريتـه ودوره فـي تأصـيل اللغـة والوقـوف على كتاب الخصائص.

2- الوقوف على جهود ابن جني الأخرى من خلال كتبه اللغوية.

3-دراسة دلالة الأصوات وكيفية نطقها.

الدارسات السابقة:

دراسة عبد الراجحي كلية الآداب جامعة الاسكندرية (1963م) عنوان الدراسة منهج ابن جني في كتاب المحتسب رسالة ماجستير عارضاً منهج ابن جني الذي اتبعه في وقوفه بجانب القراءات الشاذة واحتجاجه ومدى اتفاقه مع الجمهور.

دراسة الفاضل صالح السامرائي جامعة بغداد العراق عنوان الدراسة ابن جني النحوي 1969م أكد الباحث في دراسته بان ابن جني كان بصرياً وقد التزم في مذهبة النحوي بالمدرسة البصرية كما استخدم المصطلحات النحوية كما تعرض الباحث لنماذج من دراسات ابن جني النحوية منها الكلام والقول والنحو والاعراب والبناء وذكر مبادئه العامة في اللغة من قياس وسماع.

دراسة عبد الحميد هنداوي كلية العلوم القاهرة (1999)عنوان الدراسة ابن جني في الكشف عن الدلالة الفنية للأصوات تناول الباحث دراسة الدلالة الصوتية للكلمة عند ابن جني ومدى اهتمام ابن جني بهذه الدلالة من حيث النظر الى صفة الحرب ومخرجه وحالة التفخيم والترقيق والشدة والرخاوة والجهر والهمس وغير ذلك رواية ابن جني في بيان المناسبة بين الأصوات والمعاني من حيث الزيادة والنقص وتعرض الباحث للدلالة الصوتية الحديثة.

دراسة ليلة احمد الزبير جامعة النيلين كلية الدراسات العليا قسم اللغة العربية 2000 عنوان الدراسة الاشتقاق عند ابن جني ومن النتائج التي توصل اليها ابن جني اول من نبه أن أصل اللغة اسماء واصوات.

هيكل البحث:

تناول البحث جهود العلماء وجهود ابن جني في اللغة بظواهرها المختلفة.

بعد ان انتهيت من جمع المادة وتحليلها ووصفها وجدتها تملي على تقسيم هذه الدراسة إلى الآتي:

الفصل الأول : ابن جني، نشأته ومذهبه

المبحث الأول: جعلته لدراسة هذا العالم مولده، ونشأته، وحياته العلمية ومذهبه اللغوي والنحوي، ومكانته في الرواية.

المبحث الثاني: عن كتاب الخصائص أو خصائص اللغة العربية.

الفصل الثاني:

المبحث الأول: نشأة اللغة واراء العلماء عن أصل اللغة وتعريف العلماء الأقدمين والمحدثين في اللغة العربية.

المبحث الثاني: تعريف علم اللغة ومجالاتها

المبحث الثالث :اختلاف اللهجات العربية.

الفصل الثالث: التصريف عند ابن جنى

المبحث الأول: التصريف والاشتقاق عند ابن جنى

المبحث الثاني: أثر ابن جني في البحث اللغوي

المبحث الثالث: الدراسة الصوتية ودلالتها

الخاتمة :

النتائج والتوصيات والمصادر والمراجع

الفصل الأول

ابن جني، نشأته ومذهبه

المبحث الأول: ترجمته ، شيوخه، صفاته، مذهبه اللغوي، مذهبه النحوي، مذهبه الكلامي، أثر بن جني فيمن بعده، صحبته المتنبي، مكانة العربية في نفسه

المبحث الثاني : ابن جني وكتابه الخصائص

المبحث الأول

ترجمته، شيوخه، صفاته، مذهبه اللغوي، مذهبه النحوي، مذهبه الكلامي، أثر بن جني فيمن بعده، صحبته المثني

ترجمته:

هو أبو الفتح عثمان بن جني الرومي أصلاً الازدي ولاء، عاش من القرن الرابع ومات سنة 392هـ كان معروفاً بحسن الخلق وعفة اللسان وملازمة الجد والوقار، كما انه عرف بالجد والأمانة في النقل والوفاء لمن ينقل عنهم، والتحري في البحث، فأنت تقرأ في كتبه تجده يعزو الأخبار والأقوال إلى أصحابها، ويثني على من ينكرهم فيها من العلماء حتى اولئك الذين يخالفهم في الرأي او المذهب، ويحرص على الا يأخذ الا ممن سمت فطرته وصحت لغته وهو يري ترك الآخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر نظراً لما عرض للغات الحاضرة من الاختلال والفساد والخطل.

شيوخه:

أتصل ابن جنى بعدد من شيوخ عصره ورجالاته ويبدوا ان شيخه أبا على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي المتوفي سنة 387هـ كان أبعدهم أثراً في تثقيفه وتنشيءته وقيل إن صحبته دامت أربعين سنة وكانت صحبة قائمة على المحبة والإعجاب والتقدير وكان الشيخ يرى في تلميذه آية الزكاء والنبوغ، وكان ابن جني يرى في شيخه الغاية في العلم وما ذكر ابن جني شيخه إلا قرن ذكره بالتجله والتقدير. [1]

يقول صاحب نزهة الألباء كان سبب صحبته إياه ان ابا على كان قد اتى الموصل فدخل الجامع فوجد ابا الفتح يقرأ النحو وهو شاب، وكان بين يديه متعلم، وهو يكلمه عن قلب الواو ألفاً نحو قائم وقائل وقال فأعترض عليه أبو علي فقال (زبت قبل تحصرم)، وكان تبحر ابن جنى في علم التصريف سببه مسألة تصريفية [2]

يقول ابن جنى عن استاذه ابي على في خصائصه:

---

[1] د. مازن المبارك، النصوص اللغوية نصوص من كتابي الخصائص والمزهر في علوم اللغة ص 5 – 6 ، مطبعة دار الفكر

[2] ترجمة الإلباء لابن الانباري

والله رحمة الله عليه ما كان أقوى قياسه وأشد بهذا العلم اللطيف انسه فكأنه إنما كان مخلوقاً له، وكيف لا يكون كذلك وقد أقام على هذه الطريقة مع جلة أصحابه، واعيان شيوخه سبعين سنة رائجة عليه ساقطة عنه كلفه وجعل همه وسدمه ولا يعتافه عنه ولد ولا يعارضه فيه متبحر ولا يسوم به مطلباً ولا يخدم به رئيساً إلا بآخره وقد حط عنه أثاله والقى عصا ترحاله [1]

ويظهر إجلال ابى على لابن جني من قول أبو الفتح في الخصائص في باب ما يرد عن العربي مخالفاً كما جاء عليه الجمهور قال: (دخلت يوماً على ابي على رحمه الله خالياً آخر النهار فحين رآني قال لي: أين كنت؟ أنا اطلبك : قلت : ما ذلك ؟ قال : ما تقول فيما جاء عنهم من حوريت؟ فخضتنا معاً فيه فلم نحل بطائل منه فقال هو من لغة اليمن ومخالف للغة ابن نزار فلا ينكر أن يجئ مخالفاً لأمثلتهم.

وأخذ بن جني النحو عن الأخفش وبعده عن ابي على الفارس وأخذ عنه كثير من رواة اللغة والأدب منهم أبوبكر محمد بن الحسن المعروف بابن المقسم وهو من القراء، وروي عنه أبن جنى أخبار ثعلب وعلمه ويروي أيضاً عن محمد بن سلمة عن المبرد وغير هؤلاء كثير.

كما يروى ابن جنى عن الأعراب الذين لم تفسد لغتهم وكان يتثبت من أمرهم وصدقهم قبل الرواية عنهم، وممن أخذ عنهم وكان يثق بلغتهم أبو عبد الله محمد ابن العساف العقيلي التميمي وقد يذكره باسم الشجري.

صفاته:

كان ابن جنى أعور أي متمتعاً بإحدى عينه ومما ينبئ عن عوره قوله في الشوق لصديق له:

---

[1] الخصائص

صدودك عني ولا ذنب لي *** دليل على نية فاسدة

فقد وحياتك مما يبكيني *** خشيت على عيني الواحدة

ولولا مخالفة الا اراك *** لما كان في تركها فائدة.

وكان من عادته في الحديث الاشارة بيديه وشفتيه لأنه يعتقد ان الإشارة أبلغ في ايضاح المعنى وتبسيطه للسامع فيقول على هذا: (رب إشارة أبلغ من عبارة) وقال النجار في ترجمته لابن جني قد يجوز إن ابن جنى كان في لسانه لكنه لمكانة من العجمة من جهة أبيه، فكان يستعين على إيضاح ما يريد بالإشارة.

مذهبه اللغوي :

كان للدين الاسلامي منذ ظهوره دفعاً للعلماء للاهتمام باللغة العربية فاتجهوا إلى جمع اللغة من الأعراب ووضع القواعد الضابطة لها، فكانت أبحاث اللغة في بداية الأمر مقصورة على جمع الألفاظ دون دراستها فانطلق الرواة إلى البدو يجمعون الألفاظ ويدونونها في كتب خاصة مثل كتاب الإبل والخيل والانواء وخلق الإنسان للأصمعي [1]

ثم بدأ اللغويون يتناولون هذه المفردات بالبحث ويجمعون ما يتصل بها من قصص أدبية وتاريخية ولغوية، والى جانب ذلك كانت البحوث النحوية التي تضع القواعد والقوانين لضبط اللغة، فظهرت في هذا العصر كتب نحوية ولغوية كالكتاب لسيبويه والاشتقاق للأصمعي والتصريف للمازني [2]

فكانت الدراسة حتى القرن الثالث تقتصر على أحد طرق أربعة (الإملاء والافتاء، والتعليم، والرواية).

---

[1] القرسي 79 او بغية الوعاء 2/ 112.

[2] محمد المبارك، فقه اللغة ط2، 1964م دمشق ص1 – 2

امـا القـرن الرابـع فاتّجـه الـدرس اللغـوي ناحيـة التنظـيم والتأمـل العميـق المبنـي علـى أسـس ومبـادئ أوحـت بهـا ثقافـة العصـر، واتجاهاتـه كمـا أن مبـدأ الاعتـزال الذي كان يقوم على العقل الحر فآثر من بحوث النحاة [1]

فاتجـه ابـن جنـي إلـى الترتيـبِ والتنظـيم ومعالجـة القضـايا الكليـة بطريقـة علميـة فـدرس اللغـة مـن جوانـب لـم تـدرس مـن قبـل ويكشـف عـن أسـرارها، ويبتكـر علـم أصول النحو.

ويشـير إلـى سـبقه فـي هـذا المجـال فـي مقدمـة كتابـه الخصـائص فيقـول: ((اعتقـادي فيـه أنـه أشـرف مـا صـنف فـي علـم العـرب واذهبـه مـن طريـق القيـاس والنظـر وأجمعـه للأدلـة علـى مـا اودعتـه هـذه اللغـة الشـريفة مـن خصـائص الحكمـة..... وذلـك انـا لـم نـر أحـداً مـن علمـاء البلـدين تعـرض لعلـم اصـول النحو على مذهب أصول الفقه الكلام والفقه)).

وابتكـر ابـن جنـي كثيـر مـن مسـائل اللغـة فهـو مؤسـس مبـدأ الاشـتقاق بنوعيـة الـذي بنـى عليـه دراسـته العربيـة وتحديـد أصـولها، وفروعهـا، وأصـواتها فكـان مبـدعاً فـي ذلـك ينـاقش المـادة اللغويـة كـأي باحـث حـديث وهـو الـذي لا يـزال يؤتي ثمره إلى اليوم [2]

مذهبه النحوي:

أبـو الفـتح نحـوي كبيـر ومؤسـس لعلـم أصـول النحـو وبهـذه الصـفة وصـفه بعـض مـن ترجمـوا لـه فقـد قـال فـي نزهـة الإلبـاء [3] وأمـا ابـو الفـتح عثمـان ابـن جنـي النحوي فإنه كان أحذق أهل الأدب واعملهم بعلم النحو والتصريف.

وتحـدث البـاخرزي عـن تفوقـه وقـال [4] (ولا سـيما فـي علـم الاعـراب أخـذ النحـو عـن ابـي علـى الفـارس وقـرأ عليـه الكتـب التـي أثـرت علـى مذهبـه وأفكـاره فيمـا

---

[1]المرجع نفسه الصفحة نفسها

[2]المرجع نفسه الصفحة نفسها

[3]نزهة الإلباء لأبن الإنباري، ص 332.

[4]دمية القصر للباخرزي 1482/3هـ

يعدوا شيخ ابن على هو أبو بكر محمد بن السرى المعروف بابن السراج صاحب الأصول وشيخه المبرد ابن عباس محمد بن يزيد المبرد صاحب المقتضب هو أبو بكر عثمان بن بقية المازن صاحب التصريف وشيخ المازني الاخفش الاوسط ابو الحسن سعيد بن مسعدة صاحب القوافي وهو تلميذ سيبويه فهو بصري النحو نسباً وإليهم دائماً يشير باسم أصحابنا.

وإذا عرفنا أن ابا الفتح ألف في أصول النحو كتابه الخصائص وإن لم يحمل أسم (الأصول) كما أسماه ابن السراج وسمى أحد كتبه (المقتضب) كما فعل المبرد وشرح تصريف المازني شرحاً مطولاً سماه (المنصف) وشرح قوافي الأخفش شرحاً دقيقاً وافياً عبر فيه عن أعجابه بالأخفش وقرن ذكر سيبويه بالإجلال عرفنا إلى أي حد يلزم نفسه الانتساب إلى المدرسة البصرية والاقتداء بأعلام النحو البصريين وموقفه التحرري من السماع والقياس والعلة والعوامل الذي أبتعد به قليلاً عن التقيد بكل كبيرة وصغيرة من المدرسة.

فقد قال ابن النجار في مقدمة كتاب الخصائص [1] أن ابن جني كان كشيخه ابن على بصرياً وكانا لا يأبيان أن يأخذا عن غير البصريين والكوفيين والبغداديين وغيرهم.

فإنه كان صاحب مذهب مستقل انفرد به وكان يعمل فكره في المسألة ويناقشها بعقله الواسع وتفكيره الصحيح. [2]وإذا كان احمد امين قد قال يعد أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني مؤسسي مدرسة في النحو والصرف تستخدم القياس إلى أقصى حد والفرق بينها وبين غيرها كالفرق بين الحنفية في اعتمادهم الكبير على القياس والمالكية في اعتمادهم على الحديث فهذه

---

[1]الخصائص 1/ 44 من المقدمة

[2]الفسر 215.

الأقوال جميعاً تؤكد بصرية ابو الفتح ولكنها تؤكد على أنه كان ذا عقل متحرر وافق واسع ونظرة بعيدة ومقدرة فائقة على الاكتشاف وسبر ما في الاعماق لخلق وإبداع ما عجز عنه غيره من استجلائه فهو بصري شديد الميل إلى مذهب البصريين ولكنه ذا رأي فكرة في الجانب الاخر تميل إلى معيار الحق أخذ بها دون ان يخرجه ذلك من بصريته.

وعقد ابن جني باباً في الخصائص وهو (أغلاط العرب) وقال في مستهله كان أبو علي رحمه يرى وجه ذلك ويقول إنما دخل هذا النحو في كلامهم لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها ولا قوانين يعتصمون بها فربما أستهواهم الشيء فزاغوا به عن القصد من أغلاطهم أموراً كهمز مصائب وحلأت السويق ورثأت زوجي ولبأت بالحج وأستلأمت الحجر وفتح باباً على مذهب البصريين في ترك الأخذ من أهل المدر كما أخذ من أهل الوبر.

وعله الامتناع ذلك ما عرض اللغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل ولو علم أن اهل المدر باقون على فصاحتهم ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ من أهل الوبر [1]

وهو يقيد اجتهاده بالتعليل ويشترط الفصاحة للقبول لهذا رأي جميع لغات العرب فصيحة ولكنه رأي أمر تقوية واحدة على اخرى وعقد لذلك بأب اختلاف لغات العرب وكلها حجة ومن هذا ما تراه في المعاجم والكسر أفصح أو الضم كذا – فالبصريون يحكمون على الأعم الأغلب اما الكوفيون فكانوا يعتدون بالشواهد الفردية.

[1]الخصائص لابن جني ، ص

لقد أخذنا ابن جني بالقياس وسار فيه إلى أبعد مدى في باب القول(الاطراد والشذوذ) قسم ابن جني الشذوذ إلى أربعة أضرب.

1 . مطرد في القياس والاستعمال جميعاً وهذا هو الغاية المطلوبة والمثابة المنوية نحو قام زيدٌ وضربت عمراً ومررت بسعيد وعلى ضوئه تطورت اللغة وقعدت القواعد إذا ليس كل ما بين أيدينا نطقت به العرب وإنما اقتضت الحاجة للقياس على ما نطقوا فكان غنى اللغة وخصبها وتأطير النحو ومنهجيته.

2 . مطرد في القياس شاذ وذلك نحو الماضي في يذّر ويدع من ذلك قولهم مكان مبقل هذا هو القياس والاكثر في السماع بأقل.

3. مطرد في الاستعمال شاذ في القياس نحو قولهم (اخوص الرمث) واستصوبت الامر واستحوذ واعيلت المرأة واستنوق الجمل.

4. شاذ في القياس والاستعمال جميعاً وهو كتتميم مفعول فيما عينه واو نحو توب مصوون وفرس مقوود..... وكل ذلك شاذ في القياس والاستعمال فلا يسوغ القياس عليه.

ويرى ابن جنى أن الشيء إذا أطرد من الاستعمال وشذ عن القياس فلا بد من السماع الوارد به فيه نفسه لكنه لا يتخذ أصلاً يقاس عليه غيره، والقياس إنما يجري على الأقوى استعمالا وما جاء عن العربي مخالفاً نفسه للسماع ولا يعضده قياس ينبغي ان يرد وقد يقل الشيء وهو قياس ويكون غيره أكثر منه إلا أنه ليس بقياس نحو شنئ من النسب إلى شنوءة وثقفي من النسب إلى ثقيف ولكن أبا الفتح مع تشدده في القياس أخذ به بأخذ السماع إذا ثبت نطقت به العرب يقول: (إذ أدرك القياس إلى شيء ما ثم سمعت العرب قد

نطقت فيه بشيء أخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه ألي ما هم عليه فإن سمعت فيه أخر مثلما أجزته فأنت فيه مخير مستعمل أيهما شيءت ولكنه قال ما جاء عن العرب مخالفاً للسماع ولا يعاضده قياس ينبغي ان يرد أو لم يبق عصمه تضيعه ولا مسكة تجمع سماعه. [1]

فقد كان أبو الفتح مصراً على أن تبقى العربية منهلاً عذباً يرده الجميع وأن تنوعت مشاربهم فلغات العرب كلها حجة. [2]

مذهبه الكلامي:

ذكر السيوطي في المزهر أن ابن جني معتزلياً كشيخه أبي على، ويتضح ذلك في كلامه في (باب ان المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة) يقول: (وكذلك أفعال تقديم سبحانه نحو خلق أفعالنا ولو كان حقيقة لا مجاز لكان خالقاً للكفر والعدوان وغيرها من أفعاله عز وعلا).

فهو هنا ينسب خلق الفعل للعبد وهذا مذهب المعتزلة وما يؤنس به بالقول باعتزاله أنه في باب (الحكم يقف بين الحكمين) ويكرر عبارة (المنزلة بين المنزلتين)

ويلمح محمد النجار في ترجمته لابن جنى انه لا يتقيد بمذهب المعتزلة ويذهب إلى ما يراه الحق وهو أدنى للنصفة.

أثر بن جني فيمن بعده :

فتح ابن جني في العربية أبواباً لم يتسنى فتحها لسواه ووضع أصولاً في الاشتقاق ومناسبة الألفاظ للمعاني وكان بذلك أماماً يحتاج إلى اتباع يمضون في سبيله ويبنون على بحوثه، وإذاً لنضجت أصوله وبلغت أناها ولكنه لم يرزق هؤلاء الأتباع على انه اُتيح له لغوي كبير أغار على فوائده

---

[1] الخصائص 1/ 387

[2]الفسر شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي صفة ابن جني تحقيق رضا رجب، ص 219

وبحوثه اللغوية ذلك هو ابن سيده على بن احمد المتوفي سنة 458هـ وهو كثير ما يغفل العزو إليه في كتاب المحكم، ويأتي صاحب اللسان فينقل ما في ابن سيده وينسبه إليه وهو لابن جني وكذلك نجد ابن سنان الخفاجي عبد الله بن محمد المتوفي سنة 466هـ صاحب سر الفصاحة ينقل كثيراً عن ابن جنى ويستشهد بكلامه، ويتجه إلى نقده عند اختلافه معه، وفي القرن السابع الهجري نجد ابن الأثير نصر الله بن محمد المتوفي سنة 633 صاحب المثل السائر. وقد يتعرض لابن جنى وينتقده، ومع ذلك ينقل عنه ولا يعزو إليه [1]

صحبته المتنبي :

أجتمع ابن جنى بالمتنبي في حلب عند سيف الدولة بن حمدان وفي شيراز عند عضد الدولة البوهي وكان المتنبي يجله ويقول فيه: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس، وكان المتنبي إذا سئل على شيء من دقائق النحو والتصريف يقول : سلو صاحبنا ابا الفتح وكان ابن جنى يعجب بشعر المتنبي ويستشهد بشعره في المعاني وهو أول شرح من ديوانه وله في ذلك شرحين شرح كبير، وشرح صغير ويذكر محمد النجار في ترجمته لابن جني نقلاً عن البديعي في الصبح المنبئ كان لابن جنى هوي في ابو الطيب كثير الإعجاب بشعره ولا يبالي بأحد بذمه أو يحط منه وكان يسوئه إطناب أبي علي في ذمه واتفق بان قال أبي علي يوماً: اذكر لنا بيتاً من الشعر نبحث فيه فبدأ ابن جنى وأنشده :

حلت دون المزار فاليوم زرت *** لحال النحول دون العناق

فاستحسنه ابو علي واستعاده وقال لمن هذا البيت فإنه غريب المعني ؟ قال ابن جني للذي يقول:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي *** وانثني وبياض الصبح يغري بي

[1]ترجمة محمد النجار، لابن جني في تحقيقه الخصائص ص29.

قال هذا أحسن وأبدع فلمن هما؟

قال الذي يقول :

أمضي أرادته فسوق له**** قد واستقرب الاقصى فتم له هنا

فكثر أعجاب ابو علي واستغرب معناه وقال لمن هذا قال ابن جنى للذي يقول :

وضع الندي في موضع السيف بالعلا

مضر كموضع السيف في موضع الندى

فقال والله هذا أحسن والله لقد أطلت يا ابا الفتح أخبرنا من القائل؟ فقال: هذا الذي لا يزال الشيخ يستثقله ويستقبح زيه وفعله فقال ابو علي: اظنك تعني المتنبي فقلت نعم.

ولابن جنى مرثية في المتنبي مطلعها:

غاض القريض وأودت نضرة الأدب *** وصوحت بعد ري دوحة الأدب

سلبت ثوب بهاء كنت تلبسه *** كما تخطف بالخطية السلب

مازلت تصحب في الجلى إذا انشعبت *** قلباً جميعاً وعزم غير منشعب

وقد حلبت لعمري الدهر أشطره ***تمطوا بهمة لا وان ولا وصب (1)

من للهواجل يحي ميت أرسمها *** بكل جائلة التصدير والحقب

قباء خوصاء محمود علاتها *** تبني عريكتها بالحلس والقتب

كان لابن جني مكانة عالية في الأدب إلا أن مكانته العلمية فاقت منزلته الأدبية فقد كان يجيد فرض الشعر الذي يأخذ القلوب ويأسر الألباب يقول عنه الثعالبي : هو القطب في لسان العرب وإليه انتهت الرياسة في الأدب ويقول ابن الجوزي كان يقول الشعر ويجيد نظمه فمن شعره في الغزل

غزال ليس وحشي *** حكي الوحشي مقلته

رآه الورد يجني الورد *** فاستكساه حلته

وشم بأنفه الريحان *** فاستهداه زهرته

وذاقت ريحة الصهباء *** فاختلسته نكهته

ويقول أيضاً :

تجبب أو تدرع أو تقبا فلا والله لا إزداد حبا

ملكت ببعض حبك كل قلبي ** فإن رمت المزيد فهات قلبا [1]

قال ياقوت في كتاب سر السرور لابن الفتح ابن جنى:

رأيت محاسن ضحك الربيع *** اطال عليها بكاء السحاب

وقد ضحك المشيب في لمتي *** فلم لا أبكي ربيع الشباب

أشرب في الكاس كلا وحاشا*** لأبصره من صفاء الشراب

وجاء بخط الشيخ ابي منصور موهوب ابن الخضر رحمه الله الشيخ زكريا يحي بن علي الخطيب التبريزي قال أنشدنا على بن عثمان ابن جنى قال انشدني لنفسه

وحلو شمائل الأدب *** منيف مراتب الحسب

أخي فخر مفاخرةً *** عقائل عقلة الإرب

له كلف بما كلفت *** به العلماء م العرب

يبيت يفاتش الانقاب *** عن أسرارها الغيب

---

[1] ابراهيم محمد ابو سكين، دراسات لغوية في امهات كتب اللغة، ص110 – 11

فمن جدد إلى جلدٍ *** إلى صعدِ إلى صبب

ويسرب في معانيها*** بضيض رواشح الثغب

ويفرع فكره الابكار *** منها من حمى الحجب

فيبرزها كان بها *** وان خفيت سنا لهب

إلى ان وصل إلى قوله:

فإن أصبح بلا نسب*** فعلمي في الورى نسبي

على أنى أؤول **** إلى قروم سادة نَجب

قياصرةٌ إذا نطقوا *** أرم الدهر ذو الخَطب

أُولاك دعا النبي لهم *** كفى شرفاً دعاء نبي [1]

ولما مات بن جنى رثاه الشريف الري بقصيده عدتها تسعة وخمسون بيتاً

لتبك أبا الفتح العيون بدمعها *** الستنها من قبلها بالمناطق إلى قوله

إلى قوله:

مضى طيب الأردان يأرج ذكره *** كريح الصبا تندي لعرنين ناشق[2]

المبحث الثاني: كتاب الخصائص

كتاب الخصائص وخصائص العربية لابي الفتح عثمان ابن جنى، من الكتب القيمة التي أقر المجلس الأعلى لدار الكتب المصرية طبعها 1993م ضمن مشروع أحياء الآداب العربية، يقدمه أبو الفتح عثمان ابن جنى مهدى

---

[1]، جلال الدين بن عبد الرحمن ابن ابي بكر السيوطي، تحفة الأرب في نحاة مغني الليبي، دراسة وتحقيق د. حسن المليح ود نهى نعجة، ج ص185 – 186.، يقصد بدعاء النبي قول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قيصر الروم ثبت الله ملكك

[2]المرجع نفسه الصفحة نفسها

إلى بهاء الدولة[1] الذى قال عنه ابن جنى: ((كان كتاب لم يزل على فارط الحال وتقادم الوقت ملاحظاً له عاكف الفكر عليه، منجذب الرأي والروية إليه، واداً أن أجد مهملاً أصله به أو خللاً أرتقه بعمله، واعتقادي فيه انه أشرف ما صنف في علم العرب واذهبه في طريق القياس والنظر وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة.

وهذا الكتاب اختار له مؤلفه اسم الخصائص لأنه يتجانس مع القوانين العامة للعربية وابن جنى يضع في مقدمة كتابه انه في تأليفه اتبع منهج علمي الكلام واصول الفقه اي انه يقصد وضعه على منهج عام لدراسة اللغة يشبه منهج الاصول الذي يحدد سبيل الاستنتاج والاستنباط الفقهي قائلاً في ذلك: (إنا لم نر أحداً من علماء البلدين تعرض لعلم أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه، فأما اصول (ابي بكر) فلم يلملم فيه ما نحت عليه إلا حرفاً او حرفين[2] وستقول في معناه ان ابا الحسن صنف في شيئين[3] من المقاييس كُتيباً إذ أنت قرنته بكتابنا هذا علمت بذلك انا تبينا عنه فيه وكفيناه كلفة التعب به، وكافأناه على لطيف ما اولناه من علومه المسوقة إلينا).

(كتاب الخصائص يضم بين صفحاته اثنين وستين ومائة باباً، تناول فيه ابن جنى جوانب مختلفة في علوم العربية، منها جوانب تتعلق باللغة ونشأتها وأصواتها ورواياتها وما إلى ذلك من ضروب العربية، هذا بالإضافة إلى المسائل العامة في حياة اللغة حيث جوانب نحوية، وصرفية، وصوتية ودلالية.

اما المستوى النحوي والصرفي فقد عزم علماء العربية على عدم الفصل بين النحو والصرف فصلاً قاطعاً بل مزجو بينهما فيما كتبوه حيث أن نجد جميع كتب النحو منذ عهد سيبويه تشتمل على النحو والصرف معاً وسلك ذلك

---

(1) بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة ابى على الحسن بويه السلطان ابو نصر في ملوك الدولية البوهية تولى ملك بغداد مع الخضوع للخليفة العباسي س379 -403 مات بارجان وهو الذى صنف له عبد الرحمن الاصفهاي كتاب أيضاح المشكل لشعر المتنبي الاعلام 75/2.

(2)الخصائص، ص 1, 2

(3)

عدد كبير من اللغويين المحدثين وما قدمه ابن جنى في هذا المجال (الدرس اللغوي) يعتبر صالحاً واساساً لفهم المنهج العربي في الدرس الصرفي والنحوي مكتفياً بالإشارة إلى جوانب عدة تتمثل في سمات المنهج الوصفي وهي:

أن مذهب ابن جنى يؤكد المذهب الذي سلكه سيبويه والتابعون من بعده من حيث اعتبار النحو والصرف علماً واحداً وهو ما يهدف إليه الدرس الحديث كما ذكرنا أنفاً. [1]

ويتضح من ذلك تعريفه للنحو بأنه انتحاء سمت كلام العرب من تصرفه من أعراب كغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليست من أهل الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم وان شذ بعضهم عنها رده إليها. [2]

ومن خلال هذا النص يظهر لنا ان ابن جنى جمع بين النحو والصرف في علم واحد في ذكره للجمع والتصغير والتكسير والنسب وهذه ابواب صرفية وحصره للنحو في كلام العرب دليل على إدراكه الواضح بان النحو مجاله الجملة وذلك واضع في مواضع كثيرة من الكتاب منها ما يقول فيه ان الكلام إنما وضع للفائدة والفائدة لا تجني من الكلمة الواحدة إنما تجنى من الجمل ومدارج القول. [3]

اما المستوى الدلالي فقد تعرض فيه ابن جنى لدراسة المعنى الذى يطلق عليه المحدثون (سياق الحال) ومن خلال الدراسة الموجزة للمادة اللغوية التي يحتويها كتاب الخصائص يمكن ان نستنتج ان ابن جنى درس اللغة على اساس المنهج الوصفي بمعنى انه تناول اللغو في الأغلب الأعم تناولاً لغوياً مبنياً على وصف الظواهر كما هي، وهذا المنهج الوصفي عند ابن جنى يظهر في الآتي:

---

[1] فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي ص144.

[2] الخصائص 35/1

[3] الخصائص 333/2

1/ ان طريقة جمعه للمادة اللغوية كان يعتمد على منهج واضح فقد حدد البيئة التي يصح أخذ اللغة عنها واضعاً باباً سماه (ترك الأخذ من المدر كما اخذ عن أهل الوبر) وقال فيه : ((إن علة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة واهل المدر من الاختلاط والفساد والخطل....))[1]

ومعنى ذلك ان ابن جنى جعل المقياس الضروري صحة المصدر اللغوي وذلك بالبعد عن المؤثرات الخارجية يؤكد أنه اعتمد في جمعه للمادة اللغوية على المصدر البشري الواقعي الذي يمثل اللغة تمثيلاً صحيحاً، ويظهر ذلك فيما يرويه عن لقاءاته مع الأعراب الفصحاء وأخذه اللغة عنهم كما سيظهر لنا من خلال مصادره اللغوية.

2. أما السمة الثانية من سمات المنهج الوصفي أنه بعد جمعة للغة في بيئتها المحددة، ومن مصادرها البشرية، قام بتنصيف مادته اللغوية على أساس وصفي تقريري يظهر في وصفه للأصوات، انه مع هذا المنهج التقريري لم يخل منهجه من تعليل الظواهر متأثراً فيه بتعليل الفقهاء والمتكلمين تأثيراً لا يخرج من التعليل اللغوي.

3 . كما ان دراسته للغة لم تقتصر على مستوي واحد بل شملت جميع مستويات اللغة وهذا ما انتهجه المنهج الحديث.

ويرد ابن جنى الخصائص وغيره حديثه عن البصريين باسم أصحابنا كما مر بنا في غير هذا الموضع، وكثيراً ما يضعهم مقابل البغداديين وكأنما ينزع نفسه منهم نزعاً وقد أسلفنا أنه يريد بالبغداديين أوائلهم ممن كانوا ينتزعون إلى الكوفة مثل ابن كيسان، وهم حقاً من ذوق غير ذوقه ومن هوى غير هواه، فهو بغدادي من طراز اخر، طراز استاذه ابي على الفارسي والزجاجي، طراز كان ينزع إلى البصريين وهو الطراز الذى عم وساد منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وكان هو واستاذه من اهم الاسباب في شيوعه، إذا كان ينتخبان من المذهبين البصري والكوفي مع

---

[1] الخصائص 7/2

نزعة شديدة إلى البصريين، ومع الفسحة وفتح الأبواب على مصاريعها للاجتهاد ومخالفة البصريين والكوفيين بقدر ما يؤديها النظر وتسعفها الحجة.

ونستطيع ان نرجع إلى الآراء المنثورة لابن جني في كتاباته المنشورة وفي المراجع النحوية، فسنراه يطبق هذا المنهج تطبيقاً دقيقاً، إذ كان يوافق البصريون في مسائل كثيرة، ومن ذلك أن يأخذ برأيهم في أن المصدر أصل والفعل مشتق منه [1]

وان المبتدأ رافعه الابتداء [2] وان ناصب المفعول به الفعل السابق له [3]وان المضارع منصوب بعد حتى بأن مضمرة وجوباً [4]وكذلك بعد او فاء السببية وواو المعية [5] وان العامل في باب التنازع هو الفعل الثاني [6] وان نعم وبئس فعلان وكذلك فهل التعجب [7] وان المفعول معه منصوب بالفعل مع توسط واو المعية[8] وان الاسم المرفوع بعد إذ الشرطية في مثل (إذا السماء انشقت) فاعل لفعل محذوف وكذلك بعدة همزة الاستفهام في مثل أزيد قام [9]وأن علة بناء الاسم شبهه بالحرف أو تضمنه معناه [10]وأن الاعراب أصل في الأسماء فرع في الافعال وإنما أعرب المضارع لشبهه باسم الفاعل[11]

وبجانب ذلك كان يأخذ بوجهة النظر الكوفية في مسائل مختلفة، ومن ذلك إعمال إن النافية ليس متابعاً في ذلك أستاذه الفارسي والكوفيين، كما مر بنا منذ قليل وإن لاحظ ان إعمالها يشوبه غير قليل من الضعف، يقول تعليقاً على قراءة سعيد بن

---

[1] الخصائص 1/ 113، 119 وانظر النصق 65/1.
[2] الخصائص 166/1
[3] الخصائص 102/1
[4] الخصائص 3 / 360
[5] الخصائص 1 / 263 وما بعدها
[6] الخصائص 209/2
[7] المنصف 1/ 241
[8] سر صناعة الأعراب 144/1
[9] الخصائص 2/ 280
[10] الخصائص 1/ 179
[11] الخصائص 63/1

جبير الآية الكريمة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الأعراف 194.

ينبغي أَن تكون إِن هذه بمنزلَةَ ما، فكأنه قال: ما الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم فأعلم ان إعمال ما (العاملة عمل ليس) وفيه ضعف لان إن هذه لم تختص بنفي الحاضر اختصاص ما به، فتجري مجرى ليس في العمل [1] وكان الكسائي يجيز وجود الفعل بدون فاعل قعد، وقام لا فاعل لها وتبعه أبو على الفارسي يختم ذلك في قل حين تتصل بها ما، ويقول ابن جني إن (قلما يقوم زيد) دخلت فيه ما على قل كافة لها عن عملها، ومثله كثر ما وطالما[2] وكان يتابع أستاذه والكوفيين في أن أو تأتي للأضراب مطلقاً [3] كما تابعها في إعمال المصدر مضمراً في الظرف مثل (قيامك أمس حسن، وهو اليوم قبيح) فأعمل هو العائد على القيام في اليوم [4] وتابع الكوفيين في أن حاش في مثل (حاش الله) فعل، بينما ذهب الجمهور إلى انها أسم مرادف للبراءة من كذا [5]

وكان يتابع الكسائي وأستاذه أبا على في أن خلا حين تتقدمها ما في مثل قام القوم ما خلا زيداً ليس من الضروري ان تكون فعلاً حتماً، فقد يجوز الجر بها على تقدير ما زائدة [6] وتابع الكوفيين في جواز (ضرب غلامه محمداً) ذلك في النظم كثيراً مثل : (جزى ربه عنى عدى ابن حاتم) وكان الجمهور يمنع ذلك لعود الضمير المتصل بالفاعل على متأخر لفظاً ورتبة [7] وكان يقف مع الكوفيين في أن حذف خبر إن إنما يحسن إذا كان أسمها نكرة، يقول تعليقاً على قول الأعشى.

إن محلا وإن مرتحلاً *** وإن في السفر إذ مضى مهلا

---

[1] الخصائص 270/1
[2] الخصائص 167/1، 168
[3] المغنى ص67
[4] الخصائص 19/2
[5] المغنى ص130
[6] المغنى ص142
[7] الخصائص 294/1 والهمع 66/1

(أراد : إن لنا محلا وإن لنا مرتحلا، فحذف الخبر، والكوفيون لا يجيزون حذف خبر إن إلا إذا كان اسمها نكرة، ولهذا وجه حسن عندنا، وإن كان أصحابنا (البصريون) يجيزونه مع المعرفة [1] ومر بنا في ترجمة الفراء إنه كان يضعف قراءة ابن عامر:

قال تعالى: (وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) سورة الأنعام الاية 136

بالفصل بين المضاف وهو قتل والمضاف إليه وهو شركائهم بالمفعول به وان أنكر بالفصل بين المضاف وهو قتل والمضاف إليه وهو شركائهم بالمفعول به وأنه أنكر البيت الذي أنشده الأخفش دعماً لذلك، وهو قول بعض الشعراء في وصف ناقته:

فزججتها بمزجة **** زج القلوص أبى مزاده

[1] المحتسب 349/1

الفصل الثاني

اللغة، نشأتها، تصريفها ولهجتها

المبحث الأول: مراحل ونشأة اللغة وآراء العلماء عن أصل اللغة وتعريف العلماء الأقدمين والمحدثين في اللغة العربية.
المبحث الثاني: تعريف علم اللغة ومجالاتها
المبحث الثالث : اللهجات العربية واختلافها

المبحث الأول
مراحل وتعريف اللغة وخصائصها عند العلماء الأقدمين والمحدثين في اللغة العربية.

المبحث الأول : المراحل التي مرت بها اللغة العربية:

مرت اللغة ا لعربية بمراحل حتى أصبحت أهلاً لأن ينزل بها القرآن الكريم ولأن تكون وعاء لكلام الله عز وجل.

1. مرحلة النشأة حيث اللغة الأم (السامية)

2. لغة العرب البائدة وهم عاد وطسم وجديس واميم وعبيل والعمالقة وجرهم هؤ لاء هم الذين كانوا يتكلمون العربية التي أستقلت عن السامية الام وتستطيع أن تعتبر عربيتهم فترة متطورة من العربية الأولى.

3 . لغة القبائل القحطانية ويسميها الباحثون الحميرية وهذه القبائل تسكن الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية حضرموت واليمن.

4. لغة القبائل العدنانية التي تنتسب إلى اسماعيل عليه السلام وكانت تسكن القسم الشمالي من الجزيرة العربية الذي يشمل هجر ونجد والحجاز وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: اول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل رواه الحاكم في مستدركه، حكي عن الشريف بن قطامي أنه قال: أن عربية اسماعيل أفصح من عربية يعرب بن قحطان وبقايا جرهم وحمير. وحكمه الله جل وعلا جعل لغة هذه الأمة لتكون وعاء لكتابه المقدس وسخر لها عوامل النقاء والنماء.

1 . أولاً بيئة جغرافية نقية صحراوية في أواسط جزيرة العرب التي تشمل نجد والحجاز.

2. سخر الله لذرية اسماعيل هجرة القحطانيين بعد انهيار سد مأرب فأخذت اللغة العدنانية طريقها إلى النمو والتصاعد لتشكل اللغة العربية الرئيسة التي بقيت إلى أن يرث الله الارض ومن عليها، بينما أخذت اللغات الاخرى في

الانقراض ومنها الحميرية، ولم يبق اليوم إلا بقايا أثرية في الإطلال والنقوش وكتب اللغة. [1]

ويقول المؤلف اللغة أعظم إنجاز بشري ولولا اللغة ما قامت للإنسان حضارة ولا نشأة مدنية وقد وقر في أذهان الناس منذ القدم تقديس اللغة وإعظام شأنها وقد بلغت القداسة عند الشعوب البدائية، أن ارتبطت اللغة عندهم بتأثير اللفظ وسحر الكلمة واختلط الاسم بالمسمى في عقيدة هذه الأقوام، وقد أدرك العلماء في العصر الحديث علاقة اللغة بالمجتمع الذي يعيش فيه، ومدى تأثيرها عليه كما عرفوا الصلة القائمة بين اللغة والنفس الإنسانية وتلونها بالانفعالات والعواطف الوجدانية لدى بنى البشر.[2]

ولم يجد علماء اللغة جهداً في الوقوف على اسباب الصراع بين اللغات المتجاورة، وولادة لغة واندثار أخرى والعلاقة بين اللغات واللهجات. [3]

ولا شك ان موضوع اللغة من الموضوعات التي شغلت الناس قديماً وحديثاً لارتباطها بحياتهم من بداية الخليقة.

فكثيراً ما يتساءل الإنسان ما اللغة ؟ وما طبيعتها؟ ووظيفتها ؟ ومكوناتها؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التي تنبئ عن اهتمام الإنسان بها فجاءت تعريفات مختلفة لهؤلاء العلماء توضح الخصائص المشتركة لكونها وسيلة إنسانية تقترن بالإنسان حيثما وجد. [4]

تعريفات اللغة عند القدماء :

يستنتج أفلاطون أن نشأة اللغة محاكاة للطبيعة، ولا شك أن قضية أصل اللغات قد أثيرت بين القدماء والمحدثين العرب حيث يقول الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومداً فقالوا صر وتوهموا في صوت الباري تقطيعاً فقالوا صرصر [5]

---

[1] دراسات في أصول اللغات العربية بقلم المؤلف عبد العزيز عبد الفتاح عبد الرحيم بن الملاء القارئ المدني محمد عظيم الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط 6، العدد الثالث رجب 1394هـ.

[2] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي اللغة وانظمتها بين القدماء والمحدثين د. نادية رمضان النجار مراجعة وتقديم د. عبده الراجحي.

[3] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي اللغة، مرجع سابق

[4] الخصائص، ص 2 نفسه

[5] الخصائص

عرفها ابو الفتح عثمان بن جنى في القرن الرابع الهجري بقوله:- اما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم [1]

وبتأمل تعريف ابن جنى نلاحظ اعتماده على عناصر محددة في تعيين اللغة تتمثل في الآتي:

اللغة أصوات يعني بها الرموز المنطوقة دون المكتوبة وهذا يفسر لنا ان الأوائل عرفوا اللغة سماعاً قبل رؤيتها رموز مصورة ومن هنا يتبين لنا اهتمامهم بالرواية والسماع والمشافهة في جمع اللغة.

وكذلك اهتمامهم بعلم القراءات والتجويد والحرص على مخارج الأصوات وإدراك ابن جنى لصوتية اللغة يتفق مع ما جاء به المحدثون في تحديدهم اللغة على أنها رموز صوتية او علامات رمزية ذات دلالات معينة وكونها وسيلة تعبير هذه وظيفة اللغة كما عرفها فريق من المحدثين ولو رجعنا إلى ما كتبه الغربيون في علم اللغة لوجدنا أثراً واضحاً من مؤلفاتهم ولوجدنا بصمات ابن جنى بارزة فيما كتبوا وصنفوا يقول البروفسور ستيفن اولمان المعرف بثقافته الواسعة في علم اللغة كان موضع عناية عدد من الكتاب الغربيين مشيراً إلى قول بوب pope (أن المعني يجب أن يكون صدى للصوت)

ويقول أيضاً (في أماكن أخرى كثيرة تستعمل الاصوات الموحية بمعانيها او الحاكية للأحداث المعبرة عنها وتستقلها استقلالا يقصد به أحداث التأثير الدرامي.

قال ابو الفتح بن جني في الخصائص حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ثم قال أما تعريفها فهي فعله من لقوت أي تكلمت واصلها لغوه ككره لقولهم كروت بالكرة ومنها لقي يلغي او هذى

ورب أسراب حجيج كظم**** عن اللغو ورفت التكلم

---

[1] الخصائص

ذلك الغو قال تعالى :

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾[1] وفي الحديث الجمعة منه من قال فقد لغى أي لهج بالكلام[2]وقال: ابن الحاجب في مختصره حد اللغة كل لفظ وضع لمعني الموضوعة وقال الاسنوى في شرح المنهاج اللغات عبارة عن الألفاظ لمعاني. [3]

قال ابن جنى في الخصائص وشيخه ابو على الفارسي في باب القول في أصل اللغة إلهام هي إم اصطلاح؟

هذا موضع محوج إلى فضل تأمل غير ان أكثر اهل النظر على ان اصل اللغة إنما تواضع واصطلاح لا وحي ولا توفيق رأى ابن جنى(علم فيما بعد أنني على تقادم الوقت دائم التنفير والبحث عن هذا الموضع فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لها، مختلفة جهات النقول على فكري وذلك أني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والارهاف والرقة ما يملك على جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر فقوى في نفسي اعتقاد كونها توفيقاً من الله سبحانه وتعالى وأنها وحى باب القول في لغة العرب توقيف ام اصطلاح

أقول أن لغة العرب توقيف ودليل على ذلك قوله جل ثناؤه (4)فكان ابن عباس يقول علمه الاسماء كلها وهي التي تعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وأشباه ذلك. (5)

ويقول ابن فارس الذي نذهب إليه في ذلك ما ذكرناه عن ابن عباس فإن قال قائل لو كان ذلك لما تذهب إليه لقال: ثم عرضهن أو عرضها فلما قال عرضهم علم ان ذلك لأعيان من بني ادم أو الملائكة لأن موضوع الكناية

---

(1)

(2)المزهر

(3) المزهر ص7

(4)سورة البقرة الآية 31.

(5)المؤلف احمد بن فارس بن زكريا الغزوتين الرازي ابو الحسين المتوفي سنة 395 الصاحبي من فقه اللغة وسنن العرب الناشر محمد على بيضون ط 1، 418هـ، 1997م.

فـي كـلام العـرب يقـال لمـن يعقـل (عرضـهم) ولمـن لا يعقـل (عرضـها) أو عرضـهن قيـل لـه والله أعلـم إنمـا قـال ذلـك لأنـه جمـع مـا يعقـل ومـا لا يعقـل والـدليل علـى صـحة مـا ذهـب إليـه إجمـاع العلمـاء علـى الاحتجـاج بلغـة القـوم فيمـا يختلفـون فيـه أو يتفقـون عليـه ثـم احتجـاجهم بأشـعارهم ولـو كانـت اللغـة مواضـعة واصـطلاحا لـم يكـن أولئـك فـي الاحتجـاج بهـم بـأولى منـا فـي الاحتجاج لو اصطلحنا على لغة اليوم ولا فرق.

ولعـل ظانـاً أن اللغـة التـي دللنـا علـى أنهـا توقيـف إنمـا جـاءت جملـة واحـدة وفـي زمـان واحـد، ولـيس الامـر كـذلك، بـل وقـف الله عـز وجـل آدم عليـه السـلام علـى مـا شـاء أن يعلمـه إيـاه ممـا أحتـاج إلـى علمـه فـي زمانـه ثـم علـم الأنبيـاء حتـى انتهى إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. (1)

باب القول في لغة العرب أفضل اللغات واوسطها

قال جل ثناؤه :

(وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ)(2)، فوصـفه جـل ثنـاؤه بـأبلغ مـا يوصـف بـه الكـلام وهو البيانَ.

إبـن سـنان الخفـاجي المتـوفي سـنة 466هـ: قـال معرفـاً أياهـا بقولـه: (عبـارة عمـا يتواضـع القـوم عليـه مـن الكـلام، وأضـاف التعريـف، ملمحـاً جديـداً يخـتص بـذكر اللغـة وهـل هـي إلهـام أم إصـطلاح؟ فقـد أنقسـم القـدماء إلـى فـريقين مـنهم مـن قـال الهـام مـن الله ومـنهم مـن قـال إنهـا إصـطلاح ويعنـي ان المتكلمـين فقـد أتفقـوا واصـطلحوا علـى تسـمية كـل شـيء ويقـول المؤلـف نحـن لا نقـر هـذا الموضـوع لكونـه مسـتبعداً فـي مجـال البحـث اللغـوي، لعـدم تـوافر الأدلـة والقـرائن التـي تـرجيح أي الـرأيين أصـوب، ومـن ثـم عـد الموضـوع غيـر عملـي إلا ابـن سـنان قـد رجـح كـون اللغـة اصـطلاحية، بالإضـافة إلـى مـا لفـت إليـه مـن كونهـا

(1)سورة الشعراء الاية (95)
(2)

كلامية أي تحقق بالفعل اللساني كما انها تأتي بفعل الأقوام فهي اجتماعية وهذان الملمحان الأخيران مما جاء به السابقون.

تعريف الكيا الهراس ت 541ه :

قال معرفاً اللغة: (وهذا الكلام إنما هو حرف وصوت، فإن تركه سدى غفلاً امتد وطال وان قطعه تقطع، فقطعوه وجزأوه على حركات أعضاء الإنسان التي يخرج منها الصوت وهو من أقصى الرئة إلى منتهى الفم، فوجدوه تسعة وعشرين حرفاً، ولا يحصل المقصود بأفرادها.

فركبوا منها الكلام ثنائياً وثلاثياً ورباعياً وخماسياً، وهذا هو الأصل في التركيب ما زاد على ذلك يستثقل، فلم يضعوا كلمة أصلية زائدة على خمسة أحرف إلا بطريق الإلحاق والزيادة لحاجة، وكان الاصل ان يكون بإزاء عبارة تدل عليه غير انه لا يمكن ذلك معني، لأن الكلمات المتناهية وكيف لا تكون متناهية ومواردها متناهية؟

فدعا الحاجة الى الأسماء المشتركة فجعلوا عبارة واحدة لمسميات عدة.

وقد اشتمل هذا التعريف على عدة خصائص في اللغة هي:

1. اللغة مكونة من كلمات منطوقة وحروف مكتوبة.
2. الكلمات تتكون من وحدات صوتية منفصلة
3. الكلمات متناهية لأن الحروف متناهية.
4. اللغة قائمة على مستويين.

مستوي الكلمات ومستوي الأصوات اللغوية واخراج أيضاً في الكتاب نفسه عن طريق عكرمة عن ابن عباس قال: (إذا سألتم عن شيء في غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب). [1]

ويفهم من تعريفات ابن الانباري ان علم اللغة يعني عنده جميع الألفاظ الغريبة والوقوف عليها، والإحاطة بعلوم العربية لفهم النص القرآني والسنة النبوية كما يفيد أيضاً علم المعجمات والمطولات التي حشدت بكل ألفاظ العربية.

---

[1]اللغة وانظمتها بين القدماء والمحدثين نادية رمضان النجار مراجعة وتقديم عبده الراجحي ص 22.

ابن الانباري :

علم اللغة جمع الألفاظ العربية والوقوف عليها، والإحاطة بعلوم العربية لفهم النص القرآني، والسنة النبوية كما يفيد أيضاً علم تأليف المجمعات والمطولات التي حشدت بكل ألفاظ العربية. [1]

عبد اللطيف البغدادي ت 655

نقل السيوطي عن الرحالة عبد اللطيف البغدادي من علماء القرن السابع تفريقه بين (اللغوي والنحوي) قال : (أعلم أن اللغوي شأنه ان ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه واما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما نقله اللغوي ويقيس عليه، ومثاله المحدث والفقيه فشأن المحدث نقل الحديث برمته، ثم يتلقاه الفقيه، ويتصرف فيه ويبسط فيه علله ويقيس عليه الأمثال والأشباه.

وهذا التمييز يؤكد ان عمل اللغوي مقصوراً على جمع الألفاظ اللغوية كما يروى المحدثون نصوص الحديث.

تعريفات اللغة عند الغربيين :

فيردناند دسوسير 1913م :

عرفها بقوله: (هي نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي يتبناها مجتمع ما، لمساعدة أفراده على ممارسة هذه الملكة ويقول في موضع آخر معرفاً اللغة بأنها نظام من العلاقات يرتبط بعضها ببعض على نحو تكون فيه القيم الخاصة بكل علاقة بشروط على جهة التبادل لقيم العلاقات الاخرى.

اللغة عند دسوسير ظاهرة اجتماعية نتاج جمعي لملكة اللسان وهي كذلك العادات والاعراف التي تتبناها هيئة اجتماعية (جماعة معينة) تسمح باستخدام تلك الملكة. [2]

---

[1] اللغة وانظمتها بين القدماء والمحدثين نادية رمضان النجار مراجعة وتقديم عبده الراجحي

[2] اللغة وانظمتها بين القدماء والمحدثين د. نادية رمضان النجار مراجعة وتقديم د. عبد الراجحي

واللغة علامات مختزنة يتلقاها كل فرد من الأفراد الآخرين الذين يستخدمون اللغة نفسها في المجتمع المعين وعلى هذا فهي موجودة بالقوة (أي كامنة) فيما يسمى بالعقل الجمعي.

أدوار سابير :

يعرف اللغة بأنها ظاهرة إنسانية وغير غزيزية لتوصيل العواطف والأفكار والرغبات بواسطة نظام من الرموز الصوتية (الاصطلاحية) وهذا التعريف عبر عنه ابن جنى بقوله يعبر بها كل قوم من أعراضهم

بولمفيلد :

عرف اللغة بأنها الكلام (الأصوات) الذي يتلفظ به الإنسان من خلال سيطرة مثير معين باختلاف المجموعات البشرية، فالبشر يتكلمون لغات متعددة.

أندريه مارتنية

عرف اللغة بقوله : (اللغة اداة تواصل) تحلل وفقاً لخبرة الإنسان بصورة مختلفة في كل مجتمع إنساني عبر وحدات تشتمل على محتوى دلالي وعلى عبارة صوتية (الفونومات) وهذه العبارة الصوتية تلفظ بدورها وحدات مميزة ومتتابعة (الفونومات وعددها محدود) وبذلك يتضمن تعريف مارتنيه للغة المسائل التالية:

1. اللغة وسيلة تواصل
2. اللغة تحتوي على مستويين مستوي التراكيب ومستوي الاصوات

الكلمات تتكون من وحدات صوتية منفصل الأصوات اللغوية عددها محدود تختلف اللغات من مجتمع لآخر

سيمون بوتر :

عرف اللغة بأنها نظام عرفي من الرموز الصوتية تستخدمه جماعة لغوية معينة بهدف الاتصال.

وقد أضاف بونر ملمحاً جديداً للغة يتمثل في كونها عرفية أي أن العلاقة بين اللفظ والمعنى ليست طبيعية وانما هي عرفية تعتمد على اتفاق واصطلاح المتكلمين على اطلاق لفظ معين. [1]

نعوم تشومسكي :

عرف اللغة بانها ملكة فطرية عند المتكلمين بلغة ما لتكوين جمل ويشير هذا التعريف إلى ان اللغة ملكة فطرية ذود بها كل إنسان عند ولادته، يمكنه كم خلالها التواصل مع غيره من المتكلمين.

كما أشار إلى مصطلحين أساسين هما: القدرة والأداء اما القدرة فهي معرفة الفرد بالقواعد النحوية التي تربط المفردات ببعضها ببعض في جملة بالإضافة إلى معرفة مجموعة من القواعد أطلق عليها القواعد التحويلية وهذه المعرفة عند تشومسكي هي التي تمكن الفرد من توليد وإنتاج الجمل النحوية في لغة معينة.

كما يرى ان هناك جانبين لا مناص من الاهتمام بهما لفهم اللغة الإنسانية هما:

1. جانب الأداء ويتمثل فيما ينطق به الإنسان فعلاً وما يطلق عليه البنية السطحية.

2. القدرة اللغوية وهي تتمثل فيما أطلق عليه مصطلح البنية العميقة او البنية التحتية.

خصائص اللغة عند المحدثين :

من خلال التعريفات السابقة لعلماء الغرب يمكن حصر خصائص اللغة على النحو التالي:

1. اللغة أصوات وتختلف اللغات من مجتمع إلى آخر بومفيلد ومارتنيه.

الوحدات الصوتية متقاربة فيما بينها اللعة كلمات وضعت لمعنى تنتظم من الإشارات والرموز والمصطلحات واللغة اصطلاح دي سوسير.

---

[1] مقدمة لدراسة علم اللغة ص 22 ميشال زكريا بحوث السنية عربية تحقيق د. حلمي خليل

اللغـة كلمـات مجموعـة لا متناهيـة مـن الجمـل تنـتظم مـن القواعـد، اللغـة ملكـة إنسـانية اللغـة ميـزة مكتسـبة تشومسـكي اللغـة عـادة كلاميـة يكفيهـا المثيـر بلومفيلد.

اللسان واللغة والكلام :

يعـرف دي سويسـر اللسـان تعريفـاً يعتمـد علـى مجموعـة مـن الثنائيـات فالمسـألة خاصـة مـن خـواص الجـنس البشـري وهـو قـدرة الإنسـان علـى التواصـل واللسـان خـارج إرادة الفـرد فلـيس بوسـعه أن يغيـره او يعـدل فـي أي مسـتوي مـن مسـتوياته فاللسان مظهر اجتماعي هو اللغة ومظهر فردي هو الكلام. [1]

اللغة والكلام :

فـرق البـاحثون فـي القـرن العشـرين بـين اللغـة والكـلام مـن الجانـب الآخـر علـى النحـو التـالي: اللغـة نظـام مـن الرمـوز الصـوتية المتفـق عليـه فـي البيئـة اللغويـة الواحـدة، وهـي حصـيلة الاسـتخدام اللغـوي فكثيـراً مـا نسـتخدم كلمـة لغـة للتعبيـر عـن كـلا فنقـول لغتـه جيـدة ولكـن المعنـى الاصـطلاحي لكلمـة لغـة يجعلهـا عبـارة عـن مجموعـة مـن الإمكانيـات التعبيريـة الموجـودة فـي البيئـة اللغويـة الواحـدة أمـا الكلام فهو كيفية اختيار الفرد لعناصر بعينها من هذه الإمكانيات التعبيرية.

والتميـز بـين اللغـة والكـلام ضـروري فـي دراسـة التغييـر اللغـوي الـذي يبـدأ عنـد فرد ما فإذا وجد القبول أصبح بمضي الوقت عرفاً لغوياً سائداً.

يهـتم علـم اللغـة بـالتغير اللغـوي علـى المسـتوي الاجتمـاعي ولـيس كـل تغيـر لغوي عند فرد ما او مجموعة يقبل اجتماعيا. [2]

---

[1]مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي د. نور الهدي لوشن استاذة مساعد في جامعة الشارقة – المكتبة الجامعية الازاريطة الاسكندرية.

[2]علم اللغة العربية د. محمود فهمي حجازي القاهرة، مكتبة غريب، 1992م.

المؤثرات العامة في الحياة اللغوية

يتأثر انتشار الصيغ اللغوية والتراكيب بعوامل كثيرة أهمها العامل الحضاري مكانه أي لغة من اللغات الكبرى المعاصرة تتجدد من المقام الاول بما تحمله من تراث حضاري فإن للعلماء والمثقفين ووسائل الاعلام أثراً كبيراً في البيئة اللغوية وفي المجال الصوتي تعد الاذاعة من العوامل الحاسمة فالنطق الذي يرتضيه مذيعو الاذاعة يؤثر في الآلاف المستمعين لذا تهتم الدول بكيفية نطق المذيعين وتدريبهم تدريباً صوتياً دقيقاً ويؤثر المحاضرون في الجامعات في الحياة اللغوية من ناحية المصطلحات، فهم يدخلون بصفة مطرودة مصطلحات علمية جديدة للتعبير عن المعاني الجديدة أو العلوم الحديثة فتستخدم هذه المصطلحات عند طلابهم وقرائهم ثم في دوائر أوسع إلى ان تستقر في العرف اللغوي.

وقد تتأثر اللغات بعوامل أخرى غير العامل الحضاري فالعامل الديني أبقى اللغة العربية مقروءة أكثر من عشرة قرون فكان اليهود يتعلمون قدراً من العبرية لأنها لغة العهد القديم وهو كتاب اليهود المقدس.

والتقاء العرب حول الفصحى وعدم نجاح الدعوى إلى الكتابة بالعامية يرجع إلى عوامل منها الالتقاء حول لغة القرآن الكريم ، وقد مهد العامل الديني لدخول عدد كبير من الألفاظ العربية المتعلقة بالدين والحضارة إلى لغات العالم الإسلامي.

العامل السياسي ذو أثر في حياة اللغات، وقد ظهرت اللغات الرومانية المختلفة من فرنسية وأسبانية وأيطاليا ورمانية في فترة كانت الوحدة السياسية لهذه المنطقة قد تمزقت نهائياً، وكان الوعي القومي آخذ في الظهور، وقد

أدى النفوذ الاستعماري في الهند إلى انتشار اللغة الإنجليزية حتى أصبحت أكثر اللغات استخداما في الهند.

وهنالك دول أفريقية كثيرة يتعامل في هذه المجالات باللغة الفرنسية واخرى تتعامل بالإنجليزية.

أما العامل الاجتماعي فهو أهم العوامل في حياة اللغات فانتقال مجموعة بشرية معينة من مكان لآخر واختلاط المجموعة الوافدة مع السكان الأصليين كفيل بخلق علاقات لغوية جديدة، ومن المعروف أن هجرة القبائل العربية عقب الفتح الإسلامي وفي القرون التالية كانت الشام والعراق ومصر والمغرب كانت أهم العوامل في انتشار اللغة العربية وبذلك لم تعد اللغة العربية لغة شمال الجزيرة العربية فحسب بل أصبحت بمعني لوقت لغة الحديث والعلوم والآدب في الدولة الإسلامية الكبرى وقوف هذه الطبقة العليا في المجتمع الواحد ذي الطبقات الاخرى ومحاكاة الطبقة العليا او الفئة الحاكمة أمر معروف في دول العالم المختلفة.

المبحث الثاني

تعريفات علم اللغة ومجالاتها

طاش كبرة زاد ت967هـ

ذكر زاده تعريفاً لعلم اللغة ينحصر في جواهر الألفاظ ومدلولاتها على معانيها الجزئية فيقول: (هو علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر لتلك المدلولات بالوضع الشخصي، وعما حصل من تراكيب كل الجواهر وهيئاتها الجزئية على وجه جزئي وعن معانيها الموضوعة لها بالوضع الشخصي.

ويقول المؤلف نفهم من هذا التعريف أن علم اللغة يشمل البحث عن الألفاظ المفردة ودلالتها في الحروف التي تتركب منها الكلمة بالإضافة إلى بعض الجوانب العرفية المتصلة بذلك، كما يهدف إلى معرفة الخطأ والصواب من الألفاظ اللغوية فهو علم معياري يحترز به للوقوف على ما يفهم من كلام العرب. [1]

ويجدر بنا أن نشير إلى أن علماء اللغة العربية المحدثين قد استعملوا مصطلح علم اللغة ومتن اللغة بمعنى واحد، ولا يفرقون بين دلالته قديماً وما أصطلح إليه حديثاً بمصطلح (فقه اللغة) ودرسوا اللغة دراسة علمية من أجل ذاتها وانحصر مدلول فقه اللغة على الدراسات التراثية الخاصة بفقه اللغة أو المرتبطة بتحقيق النصوص وتفسيرها.

كما عرفها د. رمضان عبد التواب بقوله: علم اللغة هو العلم الذي يبحث عن اللغة ويدرسها من النواحي الوصفية، والتاريخية والمقارنة، كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللغات المختلفة [2]

---

[1] رمضان عبد التواب، المدخل لعلم اللغة، الناشر مكتبة الخانجي القاهرة، ط 3 1417هـ - 1997م

[2] المرجع نفسه.

موضوع علم اللغة :

1. موضوع علم اللغة هو كل النشاط للإنسان في الماضي والحاضر يستوي في هذا الإنسان البدائي والمتحضر، واللغات الحية والميتة والقديمة والحديثة، دون اعتبار لصحة أو لحن أو جودة أو رداءة أو غير ذلك.

2. وتحدد لذلك وظائف علم اللغة فيما يلي :

وصف ما وصل إلينا من اللغات البشرية والتاريخ لها، وتقسيم اللغات الأم إلى فصائل وعائلات وإعادة صوغ اللغات الأم لكل هذه الفصائل على قدر الأماكن البحث عن القوى المؤثرة في أحياء اللغات في كل مكان واكتشاف القوانين العامة التي تفسر الظواهر اللغوية الخاصة بكل لغة.

تحديد مجالات علم اللغة والبحث عن تعريف مناسب لهذا العلم.

ومن واجبات الباحث اللغوي أن يدرس اللغة كما هي فليس له ان يغير في طبيعتها.

مجالات علم اللغة :

يبحث علم اللغة في المجالات التالية :

1. دراسة الأصوات التي تتألف منها اللغة، ويتناول ذلك تشريح الجهاز الصوتي لدى الإنسان ومعرفة إمكانات النطق المختلفة الكامنة فيها ووصف أماكن النطق ومخارج الأصوات في هذا الجهاز. [1]

2. دراسة المقاطع الصوتية النبر والتنغيم في الكلام والبحث عن القوانين الصوتية التي تكمن وراء إبدال الأصوات وتغييرها.

دراسة البنية أو البحث عن القواعد المتصلة بالصيغ واشتقاق الكلمات وتعريفها، وتغيير أبنية الألفاظ للدلالة على المعاني المختلفة وهو ما يدرس عند العرب بعلم الصرف.

---

[1] المرجع نفسه.

3. البحث عن نشأة اللغة الإنسانية وقد نادى بعض اللغويين المحدثين بإخراج موضوع نشأة اللغة من موضوعات علم اللغة وآخر مجالات هذا العلم هو البحث عن حياة اللغة وتطورها في نواحي الأصوات والبنية والدلالة والتركيب وغير ذلك وكذلك البحث في صراع اللغات وتقسيمها إلى لهجات وصراع اللهجات بعضها مع بعض وتكوين اللغات المشتركة وغير ذلك من الأمور. [1]

[1] المرجع نفسه.

المبحث الثالث
اللهجات العربية واختلافها

العربيـة الفُصـحى هـي لغـة القـرآن التـي اختارهـا الخـالق عـز وجـل ليخاطـب بهـا البشـرية جمعـاء ومما كلـل هـذا الاختيـار الـذي شـرفت بـه العربيـة واعطاهـا صـفة السـمو والعالميـة وهـي أهـل لـذلك الاختيـار وإن العربيـة التـي وصـلت إلينـا لـم تتغير عبر القرون بفضل القرآن الكريم.

وهنـا سـؤال لابـد منـه هـل كـان للعـرب فـي جزيـرتهم لغـات ولهجـات تختلـف عـن الفصحى؟

وللإجابـة عـن هـذا السـؤال فقـد ذكـر محمـد بـن سـلام الجمحـي فـي كتابـه طبقـات فحـول الشـعراء [1] (أن لحميـر وأقاصـي الـيمن لسـاناً غيـر لسـاننا وعربيـة غيـر عربيتنـا) يقـول المؤلـف: لا عجـب إذ أورد ابـن سـلام هـذا الـرأي لأنـه لـم يتبلـور فـي ذهنـه الفهـم التـام لتطـور اللغـات علـى مـا هـو عليـه الحـال فـي وقتنـا هـذا ليعبر بالقول بان لغة حمير ماهي الا طوراً من اطوار العربية عبر الزمن.

وقـد علـق جـواد علـى هـذا الجانـب مـن الزاويـة التاريخيـة علـى بعـض الاكتشـافات الأثريـة التـي تتعلـق بـبعض النقـوش والتـي يتضـح مـن قراءتهـا انهـا تختلـف اختلافـاً كبيـراً عـن الفصـحى فيقـول المؤلـف ان هـؤلاء وان اختلفـت لغـتهم عـن لغتنـا وتبـاين السـنتهم والسـنتنا فـانهم عـرب لحمـاً ودمـاً ولـدوا ونشـأوا فـي بـلاد العـرب لـم يفـدوا إليهـا مـن الخـارج اذن عـرب مثـل غيـرهم وكـل لغـات العـرب هـي لغـات عربيـة وان اختلفـت وتباينـت ومـا اللغـة التـي نـزل بهـا القـرآن إلا لغـة واحـدة مـن تلـك اللغـات ميـزت عـن غيرهـا واكتسـبت شـرف التقـديم والتصدير بفضل نزول الكتاب العزيز فصارت العربية الفصحى.

ومما ينبغـي الإشـارة إليـه أنـه يوجـد معيـاراً أكثـر أهميـة إلا وهـو المعيـار اللغـوي الـذي ينظـر إلـى أبنيـة هـذه اللغـات وعلاقتهـا بالفصـحى ومـدى التشـابه بـين القـديم والحـديث وكيـف تـدرجت الألفـاظ والصـيغ والأسـاليب فـإن وجـدت اسـتطعنا القـول بـأن العربيـة الفصـحى مـاهي إلا امتـداد للعربيـة القديمـة التـي

[1] العربية القديمة ولهجاتها, عادل محاد مسعود مريح، المجمع الثقافي ابو ظبي، الامارات العربية المتحدة ص3 – 4.

نجدها في بعض النقوش ومن الصعب وجود نسب بين لغة واخرى ومثال ذلك اللغة السامية وبناتها اللاتي تفرعن منها والتي تعتبر العربية بين مجموعة من اللغات مثل العربية والعبرية والآرامية والبالية والفينيقية من خلال التشابه في كثير من الأساليب والالفاظ والتراكيب. [1]

والذي نريد أثباته هو علاقة العربية الفصحى التي يعتبرها كثير من الباحثين الاحدث عهداً بين جميع اللغات السامية.

اختلاف اللهجات العربية:

اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة وبيئة اللهجة جزء من بيئة أوسع واشمل تضم عدة لهجات كل منها خصائصها ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي أصطلح على تسميتها باللغة فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص والفرق بين لهجة واخرى هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان ويروي لنا مثلاً أن قبيلة تميم في فرت فرد كما يروى ان الأجلح هو الأصلع ينطق بها الأجله عند بني سعد، وقد ذكر شوقي ضيف كثير من اللهجات ومن ذلك الكشكشة والكسكسة وهما تخصان ضمير المخاطب إذا كان بعض تميم واسد يلحقون بكاف المخاطبة شيئاً في الوقف وفي الوصل أحياناً فيقولون رأتكش وبكش وكانت بعض قبائل ربيعة تلحق السين بدل الشين وتقول راتيكس وعليكس وبكش وكان منهم من يحذف الكاف ويضع مكانها الشين أو السين.

ومع ذلك العنعنة وهي في تميم وقيس وأسد فليفظون استعدى بدلاً من أستأدى وأن بدلاً عن وعنا بدلاً من أنا وتقترب من العنعنة الفحفحة فتبدل الحال عيناً فيقولون في حتى عتى وهذه اللهجات تشيع في بعض القبائل المضرية ومثلها التضجع وهو الامالة إذا كانت تميم وقيس واسد تميل إلى أمالة الألف وكان الحجازيون ينطقون بتفخيم.

---

[1] الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس للهجات العربية نشاة وتطور، ص125

وقد نسب اللغويون إلى قبائل مضرية وقحطانية ما سموه الاستنطاء تبدل العين نوناً في مثل أعطى تقول انطى.

وهنالك لهجات نسبها اللغويون إلى القحطانيون مثل ذلك التلتلة في قبيلة قضاعه وبهراء أذ يكسرون الفعل المضارع تعلمون وتِكتبون والعجعجة إذ يجعلون الياء المشددة جيماً فيقولون تميمج بدلا تميمي واشتهرت حمير وبعض عشائر طى بالطمطمانيه وهي ابدال لام التعريف ميماً فيقولون ليس ام بر ام صيام ام سفر.

وينسب إلى بعض الحميرين أنهم كانوا يجعلون السين تاء فيقولون النات بدل الناس،وتلك اللهجات صار منها ماهو مقبول وحجة ومنها ماتدني وهجرة الذوق العربي.

قال ابن جني (باب اختلاف اللغات وكلها حجة)

أعلم ان سعة القياس تبيح لهم ذلك، ولا تخطر عليهم الا ترى أن لغة التميمين في نزل اعمال (ما) يقبلها القياس ولغة الحجاز في اعمالها لأن كل واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به : قال الرسول صلى الله عليه وسلم :نزل القرآن بسبع لغات كلها شاف كاف عن أبي العباس احمد بن يحي (ثعلب) قال : ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة هوازن وتضجع قيس وعجرفية ضبة وتلتلة بهراء ومعظم الاختلاف يرجع في أبدال الحروف أو الحركات أو في الإمالة والتضخم او في الادغام والفك أو في الأعراب وهذا النمط من الاختلاف ليس فيه تباين كلى لما فيه من التقارب.

وكان الشعراء والخطباء يتحدثون بلغة خالية من فوارق الأصوات اللغوية وينتقون الالفاظ فمهد هذا لوحدة لغوية راقية حيث أنسابت في جداول الفصاحة وانتهى مصبها في لغة قريش فصارت بذلك أفصح العرب وبلسانها

كـــان نـــزول القـــرآن الكـــريم علـــى الرســـول القرشـــي ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[1] حتـى يكـون هـذا ادعـى لقـوة البيـان فـي البلاغـة ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾[2]

[1]سورة الشعراء الاية (214).
[2]سورة ابراهيم الاية (4)

الفصل الثالث
التصريف عند ابن جنى
المبحث الأول: التصريف والأشتقاق عند ابن جنى
المبحث الثاني: الدراسة الصوتية ودلالتها

المبحث الأول
التصريف والأشتقاق عند ابن جنى

الصرف هو التغيير من وجه لوجه ومن حال إلى حال قد وردت مادة (صرف) في القرآن الكريم بهذا المعني في كل تقلباتها كقوله تعالى ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1]

وقوله تعالى ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ﴾[2]

والتصريف اصطلاحا يشتمل على معنيين الأول عملي تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها كتحويل المصدر إلى أسمي الفاعل والمفعول واسم التفضيل واسمى المكان والزمان والجمع والتصغير واسم الالة.

والثاني علمي، وهو علم بأصول تعرف بها أصول بناء الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء.

واختلط موضوع النحو بالتصريف بحيث وقر في أذهان بعض الباحثين ان التصريف علم مستقل عن النحو وليس احد جزأيه وممن يري التصريف جزء من النحو ابن السراج حيث قال: النحو إنما أريد ان ينحو المتكلم كلام العرب وهو علم استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب واكمل كلامه ان النحو يشمل الصرف والاعراب.

وعده أبو علي الفارسي جزءاً من النحو أيضاً من مقدمة كتابه (التكملة) [3]

ويقول ابن جنى ان التصريف يعني تنقل أحوال الكلمة وتعاور الزيادة إياها حيث قال الزيادة في الكلمة ضرب من تصريفها ولست أعنى بالتصريف هاهنا التنقل في الازمنة نحو ضرب ويضرب وسيضرب وإنما أريد تنقل احوال الكلمة وتعاور الزيادة إياها حيث قال الزيادة في الكلمة ضرب من تصريفها ولست أعني بالتصريف هاهنا في الأزمنة نحو ضرب ويضرب وسيضرب وإنما أريد تنقل أحوال الكلمة وتعاور الزيادة إياها.

---

(1)

(2)

(3)الفسر شرح ابن جنى الكبير على ديوان المتنبي صفة ابن جني تحقيق رضا رجب

وقد قابل بين التصريف والأعراب فقال: الغرض من صناعة الإعراب والتصريف إنما هو يقاس مالم يجئ على ما جاء إلا إذا كان الإعراب غير صناعة الاعراب عند أبي الفتح وفي مكان آخر يقوله:

هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره [1] وهذا التصريف يشتمل على التصريف لأن انتحاء سمت الكلام العرب يعم الأبنية والتراكيب. [2]

والتصريف عند أبي مالك: هو تحويل الكلمة من بنية إلى غيرها لغرض لفظي أو معنوي ولا يليق ذلك إلا بمشتق ثم أكمل فقال التصريف ضروري كصوغ الأفعال من مصادرها والإتيان بالمصادر على وفق أفعالها، وبناء فعال وفعول من فاعل قصداً للمبالغة. وقال ابن عقيل التصريف عبارة عن علم يبحث فيه أحكام بنية الكلمة العربية وما لحقها من زيادة وأصالة وصحة واعلال ولا يتعلق إلا بأسماء المتمكنة والافعال المتصرفة، فأما الحروف وشبهها فلا تعلق لعلم التصريف بها.

والتصريف عند بن عصفور: هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تراكيب والتصريف عنده قسمان أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني، والآخر تغيير الكلمة عن أصلها من غير أن يكون التغيير دالاً على معنى طارئ على الكلمة نحو تعبيرهم قول إلى قال إلى يقول.

ويرى التصريف أشرف شطري العربية واغمضها كما يرى انه ينبغي ان يقدم علم التصريف على غيره من علوم العربية وهكذا نرى جميع التعاريف التي وردت عند علماء التصريف استحدثت أصولها في كلام ابن جنى [3]

واختلف العلماء في تحديد البذور الأولى لعلم التصريف ويقول المؤلف يرى بعض أساتذتنا المحدثين أن علم الصرف مر بمراحل ثلاث:-

1. مرحلة النشوء تبدأ من عصر أبي الاسود الدؤلى 67هـ.

---

(1) المفسر، ص262

(2)

(3)

والثانية مرحلة العناية به وتخليصه من النحو تبدأ من عصر معاذ بن مسلم الهراء 187 هـ الذي زاول التصريف وحده بعيداً عن النحو بعد النظر في كتاب سيبويه.

المرحلة الثالثة: مرحلة التمام والاكتمال وتبدأ في عصر أبي الفتح بن جنى إلى وقتنا هذا حيث يظهر التأليف في الصرف مستقلاً عن النحو وعنى العلماء بدراسة أصوله ووضع الشروط لموضوعات مسائله، شروط قلب الواو والياء ألفاً وشروط الادغام الواجب وجمع الأشباه والنظائر في أبواب النسب والتصغير والإعلال وغيرها إنما هي من صنع العلماء وابن جنى له الريادة، لهذا الطور من اطوار علم التصريف [1]

وما كان لابن جنى ان يتسنم القمة لولا تأثره بمن قبله تأثرا مباشرة بالتلمذة والتلقي أو غير مباشر بالقراءة والاطلاع وهو يصرح كثيراً بأسمائهم نحو (حدثنا أبو على أو قال ابو سعيد) [2]

وقد اكتسب مكانه عالية من خلال استاذه حتى عد ذلك مفخرة له، وقيل فيه (أنه يحكي عن ابي على النحو كما انزل) واعمل ابو الفتح ذهنه في التصريف حتى نبغ فيه، وأبدع وتبوأ من مكانه لم يصلها احد قبله ولا وصلها أحد بعده، وكان تفوق ابو الفتح محط أعجاب الأقدمين له والمتأخرين، فقد قيل فيه بعضهم: (واعتنى بالتصريف فما أحد أعلم به منه ولا أقوم بأصوله وفروعه ولا أحسن احسانه في تصنيفه) [3]

حين يرى ان التصريف يحتاج إليه جميع أهل العربية وبهم إليه أشد فاقه لأنه ميزان العربية وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها ولا يوصل لمعرفة الاشتقاق إلا به.

---

[1]علم التصريف، دراسة من فكر بن جنى د.شهاب النمر اسماعيل، دار الافاق العربية، ص395.

[2]نفسه

[3]الفسر ص 270

ويشير إلى مسألة الاشتقاق الذي يراه أساساً من أسس التصريف ويفسر سبب تقديم النحو على التصريف ويرى انه بدئ بمعرفة النحو لان التصريف علم عويص ليكون الارتياض في النحو موطناً للدخول فيه [1]

الكتب التي وقفها أبو الفتح لمسائل الصرف وعلومه:

ابن جني من الذين أكثروا في التصنيف حتى بلغت مصنفاته نحو الخمسين وبينها مصنفات وقفها على كلام أستاذه الفارسي مثل: اللمع، وذو القِ، وتأييد تذكرة أبو علي وله مصنفات مختلفة حول المتنبئ تفسيراً لشعره ودفاعاً أمام خصومه، ومن أهم مصنفاته (المحتسب) في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها وقد نشر منها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة الجزء الأول، والقسط الأكبر من نشاط ابن جني كان في علم التصريف دفعه رغبة في التعمق فيه إلى أن يقرأ على أستاذه كتاب التصريف للمازني الذي كان يعد أنفس ما ألّف في هذا العصر، وعمد إلى شرحه في كتابه المنصف الذي نشرته الإدارة العامة للثقافة بالقاهرة في ثلاثة أجزاء ومن ملاحظاته في هذا الكتاب أن الأفعال تشتق من أسماء الأعيان كقوله: اننا اذا اشتققنا فعلاً من سفرجل قلنا سفْرج، يسفْرِج، سفْرجة فهو مسفْرج، ومن ملاحظاته أن الأفعال قد تشتق من الحروف كاشتقاق قوَّف من القاف وكوَّف من الكاف ودول من الدال فيقول: (قوفت قافاً وكوَّفت كافاً ودولت دالاً) ونشر لابن جني في القاهرة الجزء الأول من سر صناعة الأعراب وهو دراسة صوتية واسعة لحروف المعجم ومخارجها وصفاتها، وما يحدث في صوت الكلمة من إعلال وإبدال وإدغام ونقل وحذف، وما يجري في حروفه من تلائم يؤدي إلى جمال الجرس. وطبع له كتاب التصريف الملوكي وهو كتاب يتناول هذا العلم بمعناه الدقيق فيتحدث عن المجرد والمزيد والإبدال والتغيير بالحركة والسكون، والحذف والإعلال مع تدريبات صرفية، وأهم كتبه في هذا العلم الخصائص الذي حاول فيه محاولة رائعة

[1] نفسه 271

لوضع القوانين الكلية للتصريف واستقصاءاته للأمثلة اللغوية وحسه الدقيق بأبنية اللغة وتصاريفها وبذلك استطاع أن يضع للتصريف أصولاً على المذهب الذي سبقه إليه علماء الكلام والفقه في وضع أصولهم، ومسائل النحو كالإعراب والبناء وعلله ويعرض في تفصيل الاطّراد والشذوذ في التصريف والنحو، كما يعرض لعوامل الإعراب في الكلم وتعارض السماع والقياس[1].

ومن الكتب التي وقفها ابو الفتح لمسائل الصرف وعلومه هي:

1. المنصف وهو الشرح المسهب لكتاب التصريف لابي بكر المازني.
2. سر صناعة الإعراب
3. التصريف الملوكي
4. المقتضب

ومن الكتب التي وضعها ابو الفتح في النحو واصوله وشغل التصريف شطراً كبيراً منها

1. الخصائص وهو أهم كتاب في اللغة العربية في اصول النحو والتصريف.
2. كتاب اللمع في العربية.
3. التلقين في النحو
4. ذو القر في النحو

نماذج صرفية

باب المثلين كيف حالهما في الاصلية والزيادة وان كان أحدهما زائداً فإيهما هو؟

يقول المؤلف: اعلم أنه متى اجتمع معك في الأسماء والأفعال حرف أصل ومعه حرفان مثلان لا غير فهما أصلان، متصلين كانا أو منفصلين فالمتصلان نحو الحفف والقصص ووددت وشددت، وحللت، وصببت [2]

---

[1] المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، ص–ص 266 – 267.

[2] الخصائص

واما المنفصلان نحو دعد وقلق وسلس وكذلك ان كان هناك زائداً فالحال واحدة نحو حمام وسالس

روينا عن الفراء قول الراجز:

ممكورة غرثى الوشاح السالس **** تضحك عن ذي أشرٍ غُصارس [1]

وكذلك كوكب ودودح وليس من ذلك دؤام لأنه مهموز وكذلك ان هناك حرفين تسقطهما الصنعة جرياً من ذلك الحرف الواحد كألف حمام وسمام وواو كوكب ودودح وذلك الندر وبلندر، يوضح ذلك الاشتقاق في الندد لأنه هو الألد وأما النجح فإن نجده حروفه خمسة وثالثة نون ساكنة، فيجب أن يحكم بزيادتها فتبقى اربعة، فلا يخلو حينئذ من ان يكون مكرر اللام كباب فُعدد وشُريب او مزيد في أوله الهمزة كأحمر وأصفر وأثمد وزيادة الهمزة أكثر من تكرير اللام إما إذا كان معك أصلان ومعهما حرفان مثلان فعلى اضرب [2] أن يكون هناك تكرير على تساوي حال الحرفين فإن كان كذلك فالكلمة كلها أصولاً نحو قلقل وصعصع وقرقر.

وكذلك إذا اتّفق الأول والثالث واختلف الثاني والرابع فالمثلان أصلان نحو فرفخ [3] وزهزق وجرجم.

وكذلك إذا اتفق الثاني والرابع واختلف الأول والثالث نحو كربر وقسطاس وشلعلع فاعتلان أيضاً أصلان فكل ذلك أصل رباعي وان كان معك حرفان أصلان بينهما حرفان مثلان فأحد المثلين زائداً نحو سلّم وقلّق – وكسر وقطّع.

وكذلك إذا اتفق الأول والرابع واختلف الثاني والثالث فالمثلان أصلان والكلمة أيضاً من بنات الأربعة، وذلك نحو (قربق وصعفصة وسعلْوس)

وكذلك إذا اتفق الاول والثاني واختلف الثالث والرابع فالمثلان أصلان

---

[1] السالس: اللين - غضارس: بارد عذب.

[2]

[3] فرفح نبات الرجلة – زهرف أكثر من الضحك جرجم الشراب شرب

والكلمة أيضاً رباعية وذلك نحو ديدبون، وزيزفون، هما رباعيان كباب ددن وكوكب في الثلاثي ومثالهما (فيعلول) كخيسفوج وعيضمور فهذه حال الرباعي.

وكذلك أيضاً أن كان معك ثلاثة احرف أصول وهما أصلان ومهما مثلان غير ملتفين هما أيضاً أصلان كقولهم ربعبق، وشمشليق وشقشليق.

باب في أتفاق اللفظين واختلاف المعنيين في الحروف والحركات والسكون:

يقول المؤلف غرضنا من هذا الباب ليس ما جاء به الناس في كتبهم نحو وجدت في الحزن ووجدت الضالة ووجدت أي الغضب، ووجدت أي علمت كقولك وجدت الله غالباً ولا كما جاء عنهم من نحو (الصدى) : الطائر الذى يخرج من رأس المقتول إذا لم يدرك بثأره و(الصدى) : ما يعارض الصوت في الأوعية الخالية (الصدى) من قولهم: فلان صدى مال، أي حسن الرعية به، والقيام عليه. ولا هل بمعنى الاستفهام وبمعنى قد و (أم) للاستفهام وبمعنى بل ونحو ذلك.

فإن هذا الضرب من الكلام – وإن كان أحد الأقسام الثلاثة عندنا التي أولها اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ويليه اختلاف اللفظين واتفاق المعنيين كثير في كتب العلماء وقد تناهبته أقوالهم، وأحاطت بحقيقته أغراضهم وإنما غرضنا هنا ما وراءه من القول على هذا النحو في الحروف، والحركات والسكون، المصوغة في أنفس الكلم من ذلك الحروف.

وعبيد وعباد فلما كان كذلك – وإنما بينهما اختلاف حرف اللين لا غير ومعلوم مع ذلك قرب الياء من الألف وأنها أقرب إلى الياء منها إلى الواو كُسرت أحدهما على ما كُسر عليه صاحبه فقيل: دِرع دِلاص وأدرع دِلاص وناقه هجان ونوق هجان

فالألف في دلاص في الواحد بمنزلة الألف في ناقه كناز أو هجان وإمرأة ضناك والألف في دلاص في الجمع بمنزلة ظريف وظراف, وشريف وشراف وذلك لان العرب كسرت فعالا على فعال كم كسرت فعيلا على

فعـال نحـو كـريم وكـرام ولئـيم ولئـام وعـذرها فـي ذلـك أن فعـيلا اخـت فعـال، إلا تـرى ان كـل واحـد منهـا ثلاثـي الأصـل وثانيـه حـرف لـين وقـد أعتقبـا أيضـاً علـى المعنى الواحد نحو كليب وكلاب وعبيد وعباد وطسيس وطياس

قال الشاعر:

قرع يد اللعابة الطسيسا [1]

فلمـا كـان كـذلك – وإنمـا بينهمـا اخـتلاف حـرف اللـين لا غيـر ومعلـوم مـع ذلـك قـرب اليـاء مـن الألـف وأنهمـا أقـرب إلـى اليـاء منهـا إلـى الـواو – كسـرت أحـداهما علـى مـا كسـر عليـه صـاحبه فقيـل : درع دلاص، وأدرع دلاص، كمـا قيـل: ظريف وظراف، وشريف وشراف –

ومثـل ذلـك فـي قـولهم فـي تكسـير عـذافر وجوالـق فـألف عـذافر ألـف تكسـير كـألف دراهـم ومنـابر فـالألف عـذافر تحـذف كمـا تحـذف نـون جحفـل فـي جحافـل وأغمـض مـن ذلـك ان تسـمى رجـلاً عبـال وحمـارَّ جمـع عبالـة وحمـارة علـى حـد قولـك شـجرة وشـجر ودجاجـة ودجـاج فتصـرف، فـإن كسـرت عبـالا وحمـارا قلـت حمـار وعبـال فلـم تصـرف لان هـذه الألـف الآن الـف التكسـير بمنزلـة ألـف مخـاد ومشـاد جمـع مخـدة ومشـد، أفـلا تـرى إلـى هـاتين الألفـين كيـف أتفـق لفظاهـا واختلـف معناهـا ولـذلك لـم تصـرف الثـاني لمـا ذكرنـا، وصـرفت الأول لأنـه لـيس ألـف للتكسـير وانمـا هـي كـألف دجاجـة وحمامـة ومـن ذلـك أن توقـع فيـه أسـماء لا ينصـرف منصـوباً فـي لغـة نـون القافيـة فـي الإنشـاد نحـو قوله :

أقلى اللوم عاذل والعتابن

فتقـول فـي القافيـة رأيـت سـعاداً فانـت فـي هـذه النـون مخيـر إن شـئت اعتقـدت أنهـا نـون الصـرف وإنـك صـرفت الاسـم ضـرورة او عمـل لغـة مـن صـرف جمـع مـا لا ينصـرف كقـول الله تعـالى ﴿سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلَا وَسَعِيرًا﴾[2] وان شـئت جعلـت النون في سعاد نون الإنشاء كقوله:

---

[1]الرجز لرؤية في ديوانه

[2] سورة الانسان الاية 4.

دانيت أروى والديون تُقضن **** فمطلتت بعضاً وأدت بعضن

فالنون من بعضن هي اللاحقة للإنشاد ومن الحركات ان ترخم رجل يسمى منصوراً فتقول في لغة من قال ياحارِ يا منص كما على يا منص حذفت الواو والضمة قبلها كما أنك في ياحارِ حذفت الواو والضمة قبلها كما انك في ياحارِ حذفت الثاء والكسرة قبلها ثم أجتلبت ضمة النداء فقلت: يا منص وكذلك أيضاً تكون النون التي في قوله : وادت بعضن هي اللاحقة للإنشاد وكقوله

يا أبتا علّك أو عساكنْ

ولكن إنما يفعل ذلك في لغة من وقف على المنصوب بالألف كقول الأعشى:

واخذ على كل حى عصم

قال اهل هذه اللغَة في الوقف رأيت فرح ولم يحك سيبويه هذه اللغة لكن حكاها الجماعة ابو عبيده وقطرب وأكثر الكوفيين فعلى هذه اللغة يكون قوله: [1]

فمطلت بعضاً وأدت بعضن

إنما نونه نون الإنشاد لانون الصرف إلى ترى أن صاحب هذه اللغة إنما يقف على حرف الأعراب ساكناً فيقول:

رأيت زيد، كالمرفوع والمجرور. هذا هو الظاهر من الأمر فإن قلت: هل تجيز أن يكون قوله وادت بعضاً تنوينه تنوين الصرف، لا تنوين الانشاد إلا انه على إجراء الوقف مجرى الوصل كقوله :

يا حوزتيها كظهر الحجفن

فإن هذا وإن كان ضرباً من ضروب المطالبة فإنه يبعد وذلك أنه لم يمرر بنا أحد من العرب أنه يقف في غير الإنشاد على تنوين الصرف فيقول من غير قافية الشعر رأيت جعفرن ولا كلمت سعيدن، فيقف بالنون، فإذا لم يجئ

---

[1] الخصائص لابن جني

مثلــه قــبح حملــه عليــه فوجــب حمــل قولــه : وادت بعضــن علــى انــه تنــوين الانشاد على ما تقدم من قوله

ولا تبقى خمور الاندرينن

وأقلى اللوم عاذل والعتابن

وما هاج أحزاناً وشجواً قد شجن

يقـول المؤلـف لـم تحضـرنا هـذه المسـألة فـي وقـت عملنـا الكتـاب(المعـرب) فـي تفسـير قـوافي ابـى الحسـن، فنودعهـا إيـاه فـإذا مـر بـك مـن الحـروف مـا هـذه سبيله فأضفه إليه.

ومن هذه الحركات:

هـذه الحـال موجـودة فـي الحركـات وجـدناها فـي الحـروف وذلـك كـالمرأة سـميتها بحيث وقبل، فإنك قائل في رفع هذه حيثُ، وجاتني قبل، وعندي بعد

فالضـمة الآن إعـراب وقـد كانـت هـذه الاسـماء قبـل التسـمية بهـا بنـاء، وكـذلك لـو سـميت رجـلاً بـأمس وجيـر لقلـت مـررت بـأمس وجيـر، فكانـت هـذه الكسـرة إعراباً، بعـد مـا كانـت قبـل التسـمية بنـاء، وهـذا واضـح فـإن سـميته بهـؤلاء فقلـت (فـي الجـر) مـررت بهـؤلاء، وكانـت الهمـزة بعـد التسـمية، هـي الهمـزة قبـل التسمية به وخالف هؤلاء باب أمس وجير ذلك ان

(هـؤلاء) ممـا يجـب بنـاؤه، وحكايتـه بعـد التسـمية بـه علـى مـا كـان قبـل التسـمية، إلا تـرى أنـه اسـم ضـم إليـه حـرف فأشـبه الجملـة، كرجـل سـميته بلعـل، فإنـك تحكـي الاسـم لأنـه حـرف ضـم إليـه حـرف وهـو عـل ضـمت إليـه الـلام كمـا أنـك لـو سـميته بأنـت لحكيتـه أيضـاً فقلـت رأيـت أنـت ولعـل، فكانـت الفتحـة فـي التـاء بعـد التسـمية بـه هـي التـي كانـت فيـه قبلهـا، لكنـك ان سـميته بـأولاء أعربتـه فقلـت: هـذا أُولاء، وايـن أولاء، ومـررت بـأولاء فكانـت الكسـرة فيـه إعرابـاً لا غيـر لأن اولاء اسم مفرد مثاله فعال كغراب وعقاب. [1]

(1)

باب في امساس الألفاظ واشباه المعاني

يقول ابن جنى" قال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان: أنها تأتي للحركة والاضطراب نحو النقران والغليان فقابلوا بتوالي حركات المثال بتوالي حركات الافعال".

يقول ابن جنى : ووجدت ان في هذا الحديث أشباه كثيرة على سمت ما حداه ومنهاج مثلاه.

وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة والقلقلة، ووجدت أيضاً الفعلي في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة نحو اليشكي والجمزي والولقي فجعلوا المثال المكرر للمعني المكرر وجعلوا استفعل في اكثر الامر للطلب نحو استسقى واستطعم واستمنح واستوهب فالأفعال المحدث عنها ضارعت الاصول نحو قولهم وهب، ودخل، وخرج وصعد ما تقدمت فيه الزيادة على سمت الاصل نحو اكرم وأعطى وما جاء عن طريق الصنعة بوزن الاصل نحو دحرج وسرهف وقوقى وزورى فكلما كان للعبارة شبهاً بالمعنى كانت أدل عليه وجعلوا تكرير العين دليلاً على تكرير الفعل فقالوا كسر وقطع وفتح، فلما كانت الافعال دليلة المعاني كرروا أقواها – وجعلوها دليلاً على قوة المعنى المحدث به وهو تكرير الفعل كما جعلوا تقطيعه نحو صرصر وحقحق دليلاً على تقطيعه

ولم يكونوا ليضعفوا الفا ولا اللام لكراهية التضعيف في أول الكلمة والاشتقاق على الحرف المضعف أن يجئ في أخرها وهو مكان الحذف الدال على قوة وموضوع الاعلال وهم أرادو تحصين الحرف الدال على قوة الفعل فهذا أيضاً مساوقة لصيغة المعاني، وقد اتبعوا اللام في باب المبالغة للعين مثل دمكمك وصمحمح وعصبصب وعركرك [1] وذلك إذا كررت العين معها في نحو دمكمك وصحصح وعصبصب والوضع في ذلك للعين وانما ضامتها اللام هنا تبعاً لها ولاحقة بها الا ترى ما جاء عنهم للمبالغة نحو أخلولق

[1] عركرك: قوي

واعشوشب واحمومى واقطوطى وكذلك في الاسم نحو عثوثل وغدودن وعنبنك وعقنقل وهجنجل. [1]

قال : ظلت وظل يومها حوبل *** وظل اليوم لأبي الهجنجل

فدخول لام التعريف فيه مع العلمية يدل على أنه في الاصل صفة كالحارث والعباس وكل واحد من هذه المثل قد فُصل بين عينيه بالزائد لا بالام، ويقول ابن جنى في تكرير المعنى في باب صمحمح (إنما هو للعين) وإن كانت اللام فيه أقوى من الزائد من باب فعوعل وافعوعل وفعيعل فضاف لأن اللام بالعين أشبه من الزائد بها فضاعفوا العين للمبالغة نحو عتل وصمل وحذّق أقعد في ذلك من اللام إلا ترى ان الفعل الذى هو موضع للمعاني لا يضعف ولا يؤكد تكريره إلا بالعين أما استحنك واقعنسس فليس الغرض فيه التوكيد والتكرير لأن إذا ضعف للإلحاق وكذلك أفعوعل نحو أخرنطم وإكلنـدد ألحاقاً بأحرنجم.

يقول ابن جنى : " اما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهج متلئب عند عارفيه مأموم " نحو والقضم والخضم ويقول أفلا ترى ان تشبيههم الحروف بالأفعال وتنزيلهم إياها على أحتذائها ومن ذلك قولهم الوسيلة والوصيلة والصاد أقوى صوتاً من السين لما فيها من الإستعلاء والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة وذلك ان التوسل ليس له عصمة والوصل والصلة بل الصلة أصلها من أتصال الشيء بالشيء ومَماسته له كاتصال الاعضاء بالإنسان وهي ابعاضة فجعلوا الصاد لقوتها للمعنى الأقوى والسين لضعفها للمعني الاضعف.

يقول السيوطي في مزهره أنظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني فجعلت الحرف الاضعف فيها والألين والأخفض والأسهل والأهمس لما هو ادنى وأقل وأخف عملاً أو صوتاً وجعلت الحرف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملاً وأعظم حساً.

---

[1] الخصائص ج2 , ص520

اطراد صيغة تمفعل في اللغة العربية المعاصرة:

يقول المؤلف: لفت انتباه شوقي ضيف في هذه الصيغ السبعة المستدركة على سيبويه نحو استفعل وفعوعل وإفعال وإفعل وفعلل وفاعل، ويرى أنه عز عليهم أن يجدوا أكثر من مثال، وكان أولى باللغويين والنحاة أن يستدركوا صيغة تمفعل التي صاغ لها ابن جني في الخصائص ستة أمثلة واحتج بها قائلاً: تمسكن وتمدرع وتمنطق وتمندل وتمخرق وتمسلم ويوضح ابن جني الفرق بين دلالتين، دلالة الفعل المشتق من الحروف والفعل من زعمهما أن الميم تغاير دلالة المزيد، فتدرع لبس الدرع، وتمدرع لبس مدرعة أو قميصاً، وسكن من السكون، وتمسكن من المسكنة أي الفقر، وتمسلم إذا تسمى باسم مسلم، وأسلم بمعنى دخل الإسلام، يقول المؤلف: ابن جني أول من سجل هذه الصيغة ووضع في يدها احتجاجاً شديداً، ويشير المؤلف إلى الأمثلة العصرية في معجم أحمد مختار عمر ومعجم إبراهيم السمرائي [1].

تمحلص تزلّف وتقرب

تمخطر إذا مشى مشياً فيه خيلاء

تمشيخ إذا تكلف الوقار وتظاهر به

تمذهب إذا اتبع مذهباً أو معتقداً

تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني :

قال ابن جنى هذا غور من العربية ولا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به واكثر كلام العرب عليه وان كان غفلاً مسهوا عنه، وهو على أضرب: منها اقتراب الاصلين ثلاثيا أحدهما، ورباعيا صاحبة كدمث ودمثر وسيط وسيطر ولؤلؤ ولآل والضبطي والصبفطري ومنها التقديم والتأخير في تقليب الأصول نحو (ك ل م) (ك م ل) (م ك ل)

[1] اللسانيات المعاصرة، اللسانيات العربية، مختار درقاوي، الناشر Alpha Doc.

وهـذا ضـرب غيـره تتقـارب فيـه الحـروف لتقـارب المعـاني ومـن ذلـك قـولهم سبحانه ﴿أَلَمۡ تَرَأَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا﴾[1]

وتقلقهم فهذا في معنى تهزهم هزا والهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين وكأنهم خصوا هذا المعني بالهمزة لأنها أقوى من الهاء واعظم في النفوس من الهز.

واستعملوا تركيب (ج ب ل) (ج ب ن) (ج ب ر) لتقاربهما في موضع واحد وهو الالتئام والتماسك، منه الجبل لشدته وقوته، وجبن إذا أستمسك وتوقف وتجمع ومنه جبرت العظم ونحوه أي قويته وقد نفع المضارعة في الاصل الواحد بالحرفين، نحو قولهم السحيل والصهيل

كأن سحيلة في كل فجر على أحساء بمؤدد دعاء.

[1]سورة مريم الأية (83)

الاشتقاق عند ابن جنى :

هو اخذ لفظ في آخر مع تناسب بينهما في المعنى كأخذ (عالم) من علم ومكتوب من كتب.

أنواع الاشتقاق :

حشد اللغويون العرب عدة أشياء تحت اسم الاشتقاق ثم عادوا ففرعوه، فكان عندهم على اربعة أنواع:

الاشتقاق الصغير او الأصغر

وهو ما ينصرف إليه لفظ الاشتقاق عند إطلاقه كاشتقاق ضرب من ضارب ومضروب ويشترط هذا النوع من الاشتقاق ان يتفق المشتق والمشتق فيه الأحرف الاصلية وفي ترتيبها، وفصائل الكلمات الناتجة من عشرة: الفعل الماضي، والفعل المضارع، وفعل الأمر، واسم الفاعل، واسم المفعول والصفة المشبهة باسم الفاعل واسم التفضيل واسم الزمان والمكان واسم الآلة. [1]

الاشتقاق الكبير:

ويسمى بالقلب وهو ان يكون بين اللفظين تناسب لمعنى واتفاق في الاحرف الأصلية دون ترتيبها مثل جذب وجبذ فإن الحروف من المشتق هي عينها في مشتق منه والمعنى فيهما متناسب وإنما الفرق بينهما إن الباء في الأول بعد الدال على عكس الثاني وهذا ماعنوه بالقلب وكذا طفا وطوف.

ويقول المؤلف : لعلم اللغة الحديث في هذا النوع من الاشتقاق رأي يخالف راي اللغويين العرب القدماء، فهذا العلم لا يرى بين جذب وجبذ علاقة اشتقاقية فيه بل يرى ظاهرة صوتية يسميها بظاهرة الانتقال المكاني حيث تتبادل الأصوات أمكنتها في الكلمة الواحدة وهي احدى ثلاث ظواهر التماثل والتخالف والانتفال لكنه في الإنصاف اللغوين العرب أيضاً أن تقول، ان علم اللغة الحديث إذا نجح في تفسير مجموعات كثيرة مثل طاف وطفا وخرشب وخشرب بهذه الظاهرة المعروف أن الانتقال المكاني بين اصوات

[1]الوجيز في فقه اللغة محمد الانطاكي، الطبعة الثالثة، منشورات دار الشرق. بمؤدد وادي في أرض غطفان

الكلمة لا يؤدى إلى تغيير أو تحور لمعني الكلمة كما يفعل الاشتقاق وإذ فإن العلاقة بين (طاف وطفا) هي علاقة اشتقاقية لانهما ليسا بمعنى واحد بل هي بصفتين متناسبتين متقاربتين، خلافاً للحال مع جذب وجبذ بل لقد ذهب ابن جنى إلى ابعد من مما ذهب إليه غيره من اللغويين العرب فقرر وجود معنى مشترك بين تقاليب الفعل الثلاثي السنة وسمى ذلك بالاشتقاق الاكبر. [1]

يقول ابن جنى (هذا موضع لم يسمه أحدٌ من أصحابنا غير ان ابا على رحمه الله كان يستعين به ويخلد إليه مع اعواز الاشتقاق الاصغر، ولكنه مع هذا وانما كان يعتاده ويستروح إليه ويتعلل به وإنما ذلك إن الاشتقاق عندي على ضربين كبير وصغير أصلاً من الأصول فتقرأه فتجمع بين معانيه وان اختلفت صيغة ومبانيه وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والتسليم: أما الاشتقاق الأكبر فإن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحد [2]تجتمع لتراكيب السنة وما يتفرق من كل واحد منها عليه.

ثم مضى ابن جنى بضرب الأمثلة على قاعدته، وهذا واحد منها (ق و ل) وهو القول، وذلك أن اللسان والفم يخفان له وبضد السكون. القلو : حمار الوحش وذلك لخفته وسرعته، ومنه قلوت (اليسر أو السوبق) وذلك لان الشيء إذا قلى وجف خف وكان أسرع للحركة وألطف

ولق يلق إذا أسرع – لوق الطعام أي يما ما خدم واعملت اليد في تحريكه وذلك (ل ق و) : للقوة للعقاب قيل ذلك لخفتها وسرعة طيرانها. [3]

لاقت نظرية الاشتقاق نقداً من علماء اللغة القدامى والمحدثين فقد تصدى لها السيوطي رافضاً الأخذ بها فهو يرى ان العرب لم تأخذ بفكرة تقليب مواقع الحروف لو جعلنا (ج ل س) مهما كانت تدل على معنى واحد على حين

---

[1]المرجع نفسه.

[2]الخصائص

[3]صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة العربية، ص196.

ان المعـــاني متجـــددة بـــين النـــاس لا تتنـــاهى فـــإذا كانـــت التقلبـــات محـــدودة فالمعاني غير محدودة فكيف نخص المعنى الواحد بتراكيب مختلفة [1]

كـان هـذا موقـف القـدامى مـن اهـل اللغـة المحـدثين فيتفقـون مـع ابـن جنـى فـي فكرتـه الاشـتقاق الصـغير إلا أنهـم يختلفـون فـي الاشـتقاق الكبيـر، يـرى إبـراهيم انـيس ان مـا فعلـه ابـن جنـى ضـرب مـن ضـروب الخيـال دفعـه إليـه إعجابـه الشديد باللغة. [2]

وعلـق صـبحي الصـالح علـى تقلباتـه لكلمـة جبـر أن ذلـك تكلفـاً وتعسـفاً إذا لا يمكن جعل كل هذه التقلبات على معنى واحد.

---

[1] المزهر ج 1، ص348.

[2] ابراهيم انيس في اسرار اللغة، الانجلو القاهرة، ط4 ص67، 1973م

المبحث الثاني
الدراسة الصوتية ودلالتها

لا شك إن الاهتمام بالأصوات ليس جديداً، وإنما هو قديم قدم النطق الإنساني، وقد أهتم به القدماء من الهنود واليونانيين.

ولم يضارع الهنود في ذلك إلا العرب فقد أولوا عناية فائقة بالنص القرآني وكيفية قراءته، وضبط مخارجه، وهذا ما عرف عندهم بعلم التجويد، ولذلك ليس بغريب أن يشيد بعض الباحثين الغربيين بجهود العرب في علم الأصوات، على الرغم من قلة الإمكانات وعدم وجود الآلات الحديثة التي توفرت لدى المحدثين، فيقول براجتراسر الألماني: (لم يسبق الأوربيون في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق وهم الهند والعرب) [1] وكذلك يقول فيرث : (إن علم الأصوات نما وشب في خدمة لغتين مقدستين هما السنسكرتية والعربية [2]

إلا إننا ندعى ان القدماء قد توصلوا إلى ما توصل إليه المحدثون في نتائج متقدمة في دراسة الأصوات وذلك لأنهم لم يدرسوا الأصوات من اجل ذاتها وإنما درسوها من أجل غاية أخرى هي تحسين واتقان تلاوة القرآن الكريم وسوف نشير إلى جهود القدماء فيما يلي:

1/ قام القدماء بتطوير الأبجدية السامية التي آخذت عنها الابجدية العربية إذا كانت الأبجدية السامية مكونة من أثنين وعشرين حرفاً مجموعة في قولهم(أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت) وذلك لأنهم قد لاحظوا ان في العربية أصواتاً غير موجودة في الابجدية السامية وهي: (التاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين) ومن ثم وضعوا لها رموزها المعروفة الآن وهي مجموعة في قولهم : (تخذ ضظغ) وكان ذلك دون الاستعانة بأدوات البحث الصوتي الحديث، وبالرغم من ذلك فقد توصلوا إلى نتائج بارعة بالنسبة لعلماء اللغة المحدثين.

---

(1). أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ط، عالم الكتب، 1998م، ص114.

(2) المرجع نفسة، الصفحة نفسها

فقد وضع العرب أبجدية صوتية للغة العربية رتبت أصواتها بحسب المخارج ابتداء من أقصاها في الحلق حتى الشفتين وقد وضع الخليل بن أحمد أول أبجدية في هذا النوع عرفتها اللغة العربية تشتمل على تسعة وعشرين رمزاً وسار فيها على النحو التالي:

(ع ح ه خ غ – ق ك – ج ش ض – ص س ز – ط د ت – ظ ت ذ ر ل ن – ف ب ل واي همزة)

ثم جاء سيبويه (ت180 ه) من بعده مخالفاً ترتيب الأبجدية الصوتية عند الخليل فأيقن أن الهمزة والهاء أبعد مخرجاً من (ع)، مقدماً بعض الأصوات ومؤخراً بعضها فجاء الترتيب على النحو التالي:

(همـــــــــزة ا ه ع ح غ خ ك ق ض ج ش ى ل ر ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م و) اما ابن جنى فقد أهتم بالأصوات اهتماماً كبيراً في مؤلفه سر صناعة الإعراب) فهو يعد من اوائل الذين قعدوا هذا العلم، ووضعوا له الضوابط والمعايير فقد جاء بالأبجدية الصوتية لا يختلف كثيراً عما جاء عند سيبويه فيما عدا وضعه القاف قبل الكاف، وتأخيره الضاد إلى ما بعد الباء.

بالرغم من عدم توفر الأجهزة الحديثة لدى القدماء إلا أنهم قد توصلوا إلى العناصر الثلاثة المؤثرة في عملية النطق، فقد ذكر ابن سينا في رسالته أسباب حدوث الحروف وفي كتاب (الشفاء باب السمع) أن العملية الصوتية تتضمن ثلاثة عناصر هي:

2. وجود جسم في حالة تذبذب ويشترط له وجود قرع أو قلع أما القرع كأن يطرق صخرة أو خشبة بجسم آخر فيحدث صوتاً، اما القلع كأن ينشق أحد شقى خشبة عن الشق الآخر طولاً. [1]

وجود وسط آخر ناقل للذبذبات، ويقصد به مموجات الهواء أو الماء التي ينتقل من خلالها الصوت إلى المصدر المستقبل وجود مستقبل لتلك الذبذبات فعند تموج الهواء ووصوله إلى الصماغ يتحرك الهواء الراكد داخله

[1] المرجع نفسه

فيهز الأعصاب السمعية المنتشرة داخله فيحدث السمع ويبين أثر الطرق الشديد على الأذن، كما بين اختلاف تردد الصوت بين العلو والانخفاض.

ثم التفت القدماء أيضاً إلى جهاز النطق ولا سيما ابن جنى الذي شبهه بالناى وبوتر العود ليقدم صوره عن العملية الطبيعية لإنتاج الكلام، فيذكر في سياق حديثة اختلاف الاجراس لاختلاف الحروف والمقاطع مثلما تنطق حرف الألف، أملس ساذجاً فإذا وضع الزامر أنامله على حروف الناي المنسوقة وبادل بين انامله اختلفت الاصوات وسمع كل حرف منها صوت لا يشبه صاحبه فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماده على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة.

وكذلك تحدث (ابن سينا) عن جهاز النطق شارحاً كل عضو من خلال اختصاصه بعلم الطب والتشريح فجاء حديثة متصلاً بهذه الأعضاء مبيناً آلة النطق في الحنجرة يقول الحنجرة والجسم الشبيه بلسان المزمار وهي الآلة الأولى الحقيقية وسائر الآلات بواعث ومعينات [1]

وقد عرف القدماء كل عضو وسموه باسمه فعرفوا الرئتين والحنجرة والحلق واللسان والشفتين، وقسموا الحلق إلى أقصى ووسط وادنى، واللسان إلى أصل واقصى ووسط وظهر وحافة وطرف، وتحدثوا عن مخارج الأصوات بطريقة تفصيلية وصنفوا الأصوات بحسب المكان الذى يتم فيه التحكم في الهواء الخارج من الرئتين.

كما نبه القدماء إلى تصنيف الأصوات ما بين صحاح وعلل فأشار الخليل إلى ذلك عن طريق تذوقه للحرف بالملاحظة الذاتية فكان يدخل الحرف الساكن على أول الصوت المراد نطقه فيميز بين ما يقف أثناء النطق

---

[1] المرجع نفسه

ويسمى بالوقفات ما يسترسل دون توقف ويسمى " الموصوتات" وهذا ما عرف عند المحدثين بالمجهور والمهموس من الأصوات.

ويستطرد الخليل موضحاً ذلك فيقول : في العربية تسعة وعشرون حرفاً منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها احياز ومخارج وأربعة هوائية وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة أما الهمزة فسميت حرفاً هوائياً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجه من مدارج اللسان ولا من مدرج الحلق ولا من مدارج اللهاة وإنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنتسب إليه إلا الجوف

كذلك قدم سيبويه دراسة محكمة للأصوات طبقاً للمخرج وحركة الوترين الصوتيين التي قسمت من خلالها الأصوات عنده إلى مجهورة ومهموسة، ثم بحسب طريقة النطق إلى أصوات شديدة، ورخوة، وما بين الشديدة والرخوة يتول : (فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً للهمزة والألف والهاء والعين والخاء.....)

والحروف العربية ستة عشر مخرجاً فللحلق منها ثلاثة : أقصاها مخرجاً الهمزة والهاء والألف فأما المجهورة الهمزة والألف والضاد واللام واما الهموسة فالهاء والحاء والخاء) ومن الحروف الشديدة وهو الذى منع الصوت أن يجري فيه وهو الهمزة والقاف والكاف، ومنها الرخوة وهي الهاء والحاء واما العين فبين الرخوة والشديدة.) ومنها المنحرف وهو حرف شديد جرى فيه الصوت وهو الراء، ومنها اللينة وهي الواو والياء لأن مخرجها يسمح الهواء الهواء أشد من اتساع غيرها.)

ومنها الهاوي وهو حرف لين اتسع الهواء الصوت ومنها المطبقة فالصاد والطاء والظاء والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف.

يقول المؤلف بتأمل النص السابق يتضح لنا مدى التقارب بين مصطلحات سيبويه والمحدثين فقد ذكر أحرف العربية مبيناً عددها موضحاً مخارجها التي حصرها في ستة عشر مخرجاً، مستعملا مصطلحات فيها كثير من التداخل، كما بين المجهور والمهموس من جهة والشديد والرخو من جهة

أخرى، فالجهر والهمس عند سيبويه لا يقومان أساساً على اهتزاز الأوتار الصوتية في الحنجرة أو عدم اهتزازها وإنما يقومان على جرى النفس أو عدم جريه وتلك الصفة من السمات الخاصة بشدة الصوت او رخاوته كما اورد مصطلحات (الشدة والرخاوة) وهما يقابلان ما عرف عند المحدثين بالانفجاري والاحتكاكي اما ابن جنى [1]فهو أول من أطلق على هذا الفن علم الأصوات وجاء بكل المصطلحات الصوتية من مقدمة كتابه (سر صناعة الاعراب) فبين منهجه فيه فيقول : وذكر أحوال هذه الحروف من مخارجها ومدارجها وانقسام أصنافها وأحكام مجهورها ومهموسها وشديدها ورخوها وصحيحها ومعتلها ومطبقها ومنفتحها وساكنها ومتحركها إلى غير ذلك من أجناسها وإذا تأملنا جهود ابن جنى من القول بالحركات لا يختلف عما جاء عند المحدثين فهو يذكر ان الهواء إذا انطلق واتسع مجراه ولم يعوقه عائق طال وامتد ولا يحدث ذلك إلا من حروف المد الالف والواو – والباء).

ولم يقتصر على ذكر حروف المد واللين وهي ما تعرف عند المحدثين بالصوائت الطويلة وانما صنف أيضاً الحركات القصيرة التي هي أيضاً من حروف المد ويعني بها الضمة والكسرة والفتحة فالضمة جزء من الواو فإذا مطلت وطالت صارت واواً، وكذلك الكسرة والفتحة يقول في باب مضارعة الحروف للحركات والحركات للحروف وسبب ذلك ان الحركة حرف صغير إلا ترى ان من متقدمي القوم من كان يسمى الضمة بالواو الصغيرة والكسرة بالياء الصغيرة والفتحة الألف الصغيرة، ويؤكد ذلك انك إذا أشبعت ومطلت الحركة انشأت بعدها حرفاً من جنسها، وعلى هذا تكون الحركات الطويلة عند ابن جنى من نفس الحركات القصيرة ولا يفرق بينهما إلا الطول في النفس أو كمية الصوت وهو ما يعرف عند المحدثين بـduration وقد اشار إلى ان الحركات العربية ليست ثلاثة فحسب وانما هنالك حركات اخرى فرعية كالتي بني الفتحة والكسرة، والتي بين الكسرة والضمة ويسمى ذلك

---

[1]المرجع نفسه

بكمية الحركات وينبه ممثلاً على الحركة الواقعة بين الفتحة والكسرة بصوتي عين عالم وكاف كاتب والواقفة بين الفتحة والضمة مثل لام الصلاة والحركات والحياة والواقعة بين الكسرة والضمة مثل قاق قبل وسين سيد فهذه الكسرة المشممة ضمة ومثلها الضمة المشممة كسرة كضمة عين مذعور وقد وصل بذلك ابن جنى إلى عشر حركات سواء كانت قصيرة أو طويلة أو بين بين وهي الواقعة بين الحركة القصيرة والتي تعرف بالإمالة والتفخيم.

وقد أدرك أيضاً ان حروف المد واللين قد تمطل وتطول في نطقها ومن ذلك كتاب سعيد – عجوز فعند مطلها ومدها تتعرض لمزيد من الطول وتمكن المدة في مواضع معينة ذكر منها ثلاثة:

1. عند وقوع الهمزة بعد حروف المد ونحوها نحو (كساء مقروءة.
2. عند وقوع حرف مشدد بعد أحد حروف المد نحو قولهم: شابة، دابة وهذا جبين بكر.
3. عند التذكرة، كأن تقول: اخوان ضربا فتمد الالف وتقول في نحو أخوتك ضربوا وتمطل الباء في أضربي زيدا ويعلل ابن جنى هذا بالتذكرة لان المتكلم إذا قال ضرب وضربوا وأضربي دون تطويل او هم السامع ان الكلام قد تم والمراد غير ذلك.

ومن الدراسات الصوتية التي قدمها العرب حديثهم عند ائتلاف الحروف وكيفية بناء الكلمة العربية وقد لاحظ الخليل ان اللغات تختلف في ذلك، وما قد يتلاءم مع امة ربما لا يتلاءم مع أمة أخرى ولاحظ أيضاً أن الاذان العربية قد تستسيغ أصواتاً معينة لا يستسيغها غيرها، وأن اللسان العربي قد ينطق بتركيب خاص لا ينطق به لسان غيره مثل أباءهم اجتماع واوين أول الكلمة، والابتداء بالساكن واجتماع حرفين ساكنين.

كذلك تحدث الخليل وسيبويه عما يسمى بالانسجام الصوتي مثل إبدال السين صاداً في كلمة مثل السويف، وابدال الصاد زاياً في بعض اللغات إذا كانت الصاد ساكنة وبعدها صوت مجهور مثل (يصدق) التي ينطقها

بعضهم (يزدق) وعللا هذه الظاهرة بقولها : (ليكون عمل اللسان من وجه واحد).

ويعنيان بذلك الاقتصاد في الجهد العضلي وتلك نظرية يقرها علم اللغة الحديث.

الأصوات الصامتة

الأصوات الصامتة وتسمي بالحروف عند علماء العربية تختلف من لغة إلى أخرى، ولكن درجة الاختلاف هنا أقل من درجة الاختلاف بين اللغات في حالة الحركات.

وقد جرت عادة العلماء على تقسيم الأصوات الصامتة إلى أصناف بقصد التعرف على طبيعتها وخواصها، وتسهيلاً للدارسين وتبسيطاً للدراسة.

وتختلف أسس التقسيم باختلاف وجهات النظر وباختلاف الغرض والقاعدة العامة على كل حال هي تقسيم الأصوات الصامتة إلى ثلاثة تقسيمات رئيسية باعتبارات ثلاثة:

التقسيم الأول:

تقسيم الأصوات الصامتة إلى مجموعات بحسب وضع الأوتار الصوتية، أي من حيث ذبذبة هذه الأوتار أو عدم ذبذبتها أثناء النطق.

1. قد ينفرج الوتران الصوتيان بعضهما عن بعض أثناء مرور الهواء من الرئتين بحيث يسمحان له بالخروج دون أن يقابله أي اعتراض في طريقه ومن ثم لا يتذبذب الوتران الصوتيان، وفي هذه الحالة يحدث ما يسمى بالهمس، والصوت اللغوي الذي ينطق في هذه الحالة يسمى الصوت المهموس فالصوت المهموس إذن هو الصوت لا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به.

والأصوات المهموسة في اللغة العربية كما ينطقها مجيدو القراءات اليوم أو كما ينطقها المختصون في اللغة العربية اليوم هي : ت ث ح خ س ص ط ف ق ك ه

قد يقترب الوتران الصوتيان بعضهما من بعض أثناء مرور الهواء واثناء النطق فيضيق الفراغ بينهما بينما يسمح بمرور الهواء ولكن مع إحداث اهتزازات وذبذبات منتظمة لهذه الاوتار، وفي هذه الحالة يحدث ما يسمى الجهر، فالصوت المجهور إذن هو الصوت الذي تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به.

والأصوات الصامتة المجهورة في اللغة العربية كما ننطقها اليوم هي: ب ج د ذ ر ز ض ظ ع غ ل م ن والواو في (نحو ولد، وحوض والياء (في نحو يترك بيت)

وقد أضاف علماء العربية الطاء والقاف إلى الأصوات المجهورة وأخرجوها من الأصوات المهموسة، وهذا الذي قالوه لا يوافق نطقنا الحالي لهذين الحرفين وما بعدهما.

3. قد ينطبق الوتران انطباقا تاماً فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق مدة هذا الانطباق ومن ثم يقطع النفس، ثم يحدث أن ينفرج هذان الوتران، فيخرج صوت انفجاري نتيجة لاندفاع الهواء الذي كان محبوساً حال الانطباق التام، هذا الصوت هو همزة القطع فهمزة القطع العربية إذن صوت صامت لا هو بالمهموس ولا بالمجهور.

وقد عد بعضهم الهمزة صوتاً مهموساً على حيث قرر علماء العربية القدامى أنها صوت مجهور، ولكننا نأخذ بالراي الذي سجلناه سابقاً وهو كونها صوتاً لا بالمجهور ولا بالمهموس.

والملاحظ أن لغوي العرب قد تكلموا عن ظاهرتي الجهر والهمس، وكما تكلموا عن المجهور والمهموس من الأصوات، ولكنهم في مناقشتهم لم يشيروا إلى الاوتار الصوتية ولم يعتمدوا على أوضاعها في تحديد الجهر والهمس وإنما قدموا لهاتين الظاهرتين تعريفات تعتمد في الأساس على ما نفهم على كيفية مرور الهواء في جهاز النطق وهي تعريفات على كل حال تتسم بالصعوبة والتعقيد إلى حد أنه ليس من السهل التعرف بدقة على مقاصدهم.

ولكـنهم بـالرغم مـن ذلـك حـين انتقلـوا إلـى حصـر الجهـر والمهمـوس مـن الأصـوات اتفقـوا مـع مـا قررنـاه سـابقاً إلا فـي الطـاء والقـاف والهمـزة، حيـث حكمـوا علـى هـذه الثلاثـة بأنهـا مجهـورة علـى حـين أن الصـوتين الاولـين مهموسان بحسب نطقنا الحالي والهمزة لا مهموسة ولا مجهورة.

وفيما يلي بيان الانواع الرئيسية للأصوات حسب مواضع النطق المختلفة.

1 . أصـوات شـفوية: وهـي البـاء والمـيم وكثيـراً مـا يشـار إلـى الـواو أيضـاً بأنهـا شـفوية وهـذا الوصـف لـيس خطـأ لان الشـفتين دخـلاً كبيـراً فـي هـذا الصـوت ولكـن الوصـف الادق ان يقـال : ان الـواو مـن أقصـى الحنـك إذا عنـد النطـق بها يقترب اللسان من هذا الجزء من الحنك.

2. أسنانية شفوية وهي الفاء

3. أسنانية او أصوات ما بين الاسنان وهي الثاء والذال والظاء.

4. أسنانية لثوية وهي التاء والدال والضاد والطاء واللام والنون.

5. لثوية : وهي الراء والزاي والسين والصاد.

6. أصوات لثوية حنكية وهي الجيم الفصيحة والشين.

7. أصوات وسط الحنك وهي الياء.

ويجـب أن نعلـم أن بـين اليـاء وبـين الجـيم والشـين قربـاً شـديداً فـي المخـرج حتـى ان بعـض الدارسـين سـمى هـذه الاصـوات الثلاثـة يسـميها العـرب الأصـوات الشجرية (نسبة إلى شجر الفم)

8. أصوات أقصى الحنك، وهي الحاء والغين والكاف والواو.

9. أصـوات لهويـة وهـي القـاف، كمـا ننطقهـا اليـوم فـي اللغـة الفصـيحة لا فـي اللهجات العامية.

10. أصوات حلقية وهي العين والحاء.

11. أصوات حنجرية وهي الهمزة والهاء.

التقسيم الثالث:

للأصـوات الصـامتة وهـو تقسـيم مبنـي علـى حالـة ممـر الهـواء عنـد مواضـع النطـق ومـا يحـدث لهـذا الممـر مـن عوائـق أو موانـع تمنـع مـرور الهـواء منعـاً

تامـاً أو منعـاً جزئيـاً او مـا يحـدث لـه مـن تغييـر أو انحـراف فيخـرج الهـواء مـن جانبي الفم أو من الأنف مثلاً.

وبهذه النظرة نحصل على المجموعات الرئيسية التالية للأصوات الصامتة:

1. الأصـوات الانفجاريـة وتسـمى الوقفـات أيضـاً : وهـي البـاء والتـاء والـدال والضاد والطاء والكاف والقاف والهمزة.

2. الأصـوات الاحتكاكيـة : وهـي الفـاء، والثـاء والـذال والظـاء والـزاي والسـين والصاد والشين والخاء والغين والحاء والعين الهاء.

3. صوت انفجاري – احتكاكي أو مركب وهو الجيم

4. صوت مكرر وهو الراء.

5. صوت جانبي وهو اللام

6. أنصاف الحركات وتتمثل في الواو والياء.

وللعرب القدامى ثلاثة أقسام رئيسية:

1. الأصـوات الشـديدة: وهـي مـا تقابـل تلـك الاصـوات التـي سـميناها هنـا انفجاريـة أو وقفـات، وقـد عـدوها ثمانيـة وهـي: البـاء والتـاء والـدال والطـاء والجـيم والكاف والهمزة ، وقد جمعوها في قولهم (أجدت طبقك).

2. الأصـوات الرخـوة: وهـي عنـدهم تقابـل الأصـوات الاحتكاكيـة عنـدنا وهـذه الاصـوات – كمـا ذكروهـا هـم – هـي الفـاء والثـاء والـذال والظـاء والـزاي والسـين والشين والصاد والضاد والحاء والغين والحاء والهاء.

3. الأصـوات المتوسـطة وهـي بقيـة الأصـوات العربيـة وهـي تضـم الصـفات والسـمات، وجمعوهـا فـي قـولهم (لـم نـرع) وزاد بعضـهم علـى هـذه الاصـوات الواو والياء والألف وجمعوا الكل في قولهم (لم يروعنا) أو (لم يروعنا).

ويق صـدون بالأصـوات المختلفـة أنهـا اصـوات بـين الشـديدة والرخـوة وكـان فـي الأولـى بهـم أن يفسـروا التوسـط بمـا لـيس شـدة او رخـوة، كمـا سـيتبين لنـا ذلـك فيما بعد.

وهـذه عبـارة ابـن جنـي المتعلقـة بهـذا التقسـيم الثلاثـي الـذي اختـاره علمـاء العربيـة لأصوات لغتهم:

وقد اهتم ابن جنى بدراسة الدلالة الصوتية في باب امساس الألفاظ أشباه المعاني :

وهو يشير إلى كثرة هذا النوع من دلالة الأصوات ويعرض له أمثلة تفريقهم بين الخضم والقضم والنصح والنضح فالخضم للأكل الرطب كالبطيخ والغثاء والقصم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الاحداث ومن ذلك قولهم النصح للماء والنضخ أقوى من النضح، قال تعالى ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[1]

فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف والخاء لغلظها لما هو أقوى منه.

ومن ذلك قولهم الوسيلة والوصيلة والصاد أقوى صوتاً من السين لما فيها من الاستعلاء والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة وذلك لأن التوسل ليست له عصمة والوصل والصلة الصلة أصلها في اتصال الشيء بالشيء كاتصال الأعضاء بالإنسان وهو أبعاضه، فجعلوا الصاد لقوتها للمعنى الأقوى[2] والسين لضعفها للمعني الأضعف ونحو قولهم حاحين وعاعيت وهاهيت إذا قلت حاءوها، وعاء وقولهم بسملت، وهللت، وحوقلت، كل ذلك إنما يرجع في اشتقاقه من الأصوات كما يقول السيوطي في مزهره أنظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى للأسهل والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخف عملاً أو صوتاً، وجعلت الحرف الأقوى والاشد والاجهر لما هو أقوى عملاً وأعظم حساً ومن ذلك المط فإن فعل المط أقوى لأنه مط وزيادة جذب وقد احتذى حذو ابن جنى في هذه القضية كذلك ابن الاثير فوضع الضوابط التي تحكم المبني والمعنى من حيث الزيادة والنقص. [3]

---

[1]سورة الرحمن الاية (66)

[2]الخصائص

[3]المزهر 514

ويقول المؤلف قد راجع المتأخرون من البلاغيين البحث في هذا المجال وإن كانت أضافتهم لا تعدوا كونها مجرد إشارات وتقديرات ومراجعات سريعة من تكرار لما سبق وحذا حذوها ابن سنان والقزويني وقد ضموا شروطاً لفصاحة الكلمة يختص بعضها بالنظر إلى أصواتها منها:

1. عذوبة الحروف والمخارج.
2. تباعد المخارج
3. تجنب الحركات المتوالية القتل أنفي للقتل
4. التوسط بين قلة الحروف وكثرتها

وهم يؤيدون كلامهم في ذلك بما ورد عن عبد القاهر في هذا المقام في نحو قوله (فصل في تحقيق القول من البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك مما يصير به فضل القائلين عن بعض من حيث نطقوا وتكلموا واخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد ومن المعلوم الا معنى بهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها مما ينفرد به اللفظ بالنعت والصفة وينسب فيه الفضل المزيه إليه دون المعنى وينبغي ان ينظر إلى الكلمة قبل التأليف هل يتصور ان يكون هذه أدل على معناها الذى وضعت له من صاحبتها على ماهي موسومة وقد يتصور في الاسمين الموضوعين لشيء واحد ان يكون هذا احسن نبأ عنه وابين في صورته من الآخر.

ويقول المؤلف : يظهر نوعاً من التناقض في كلام عبد القاهر (إلا تفاضل للكلمات خارج النظم) وهذا التناقض من حيث أنه يسلم ان الكلمات منها الغريب الوحشي ومنها الذي يكد اللسان ثم ينفى بعد هذا ان يكون الكلمات منها متفاضلة غير متساوية قبل ان يستلمها النظم.

ويجيب عبد الله الطيب عن هذا الاعتراض فيقول: ربما يعتذر عبد القاهر بانه كان يرى الألفاظ في جملتها غير متفاضلة وان فضل المستعمل على غير المستعمل والخفيف على الثقيل طفيف بحيث يمكن تجاهله وان النظم إذا إجـ اده صاحبه قد يسبغ على كلمة وحشية رونقاً لا يتهيأ ولا يتأتى إذا وضعنا مكانها كلمة أخرى مألوفة وقد يتيح لكلمة ثقيلة تكد اللسان من

العذوبة وما يتوافر لو استبدلناها بأخرى مما يحسب خفيفاً سهلاً والحق الذى يجاب به عن هذا الأمر فهو ان تعلم ان واضع اللغة لم يصنع هذه الألفاظ إعتباطاً وإلا فما حاجتهم لأن يضعوا المعنى واحد كالجمل او الفرس والسيف مئات الأسماء إلا ان يكون هنالك تناقض في كلام عبد القاهر [1] لأن مؤدي كلامه هو منع الترادف التام في لغة العرب وهذا هو الحق، ومن لا يتصور كما يقرر عبد القاهر الاسمين الموضوعين لشيء واحد ان يكون أحداهما أحسن نبأ عنه وابين عن صورته من الآخر، فهما وان اشتركا من الدلالة على أصل المعنى والمعنى الجملي فإن لكل منها من المعاني التفصيلية الخاصة ما يفرقه عن الاخر ويجعله صالحاً لسياقات لا يصلح لها اللفظ الآخر، ومن ثم فصعوبة اللفظ أو ثقله، ليس أمراً يتنافى فصاحته لأنه قد يوافق السياق ويطابق المقام بتلك الصعوبة وذلك الثقل إلا لزم قائل ان يقول بعدم فصاحة الكتاب العزيز لاشتماله على كثير مما وصف أمثاله [2]بانه ثقيل او صعب في نطقه كقوله تعالى ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا - فَسَيَكۡفِيكَهُمُ﴾

ومع ذلك فهذه الالفاظ في سياقها في درجة عالية من الفصاحة مع أنها صعبة في نفسها وعليه فلا تلازم بين صعوبة الكلمة في النطق أو في ثقلها الذي يهمنا هو ان تكون الكلمة عربية أصيلة كما قال السكاكي أو علاقة ذلك ان تكون على السنة الفصحاء مثل العرب الموثوق بعربيتهم والدليل على ما ذكره في انه لا تلازم بين صعوبة الكلمة او ثقل جرسها وغرابتها واننا لو تصورنا على سبيل المثال استبدل كلمة (انلزمكموها) بأخرى ترادفها في قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام مخاطباً قومه حينما أعرضوا عن دعوته قائلين: ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ

[1]الخصائص لابن جني ص 26
[2]المرجع نفسه

بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾[1]

فلو استبدلنا هذه الكلمة بقولنا (أنلزمكم بها او أنلزمكم إياها) لما اوحت بما توحى به هذه الكلمة مثل الثقل وصعوبة التحمل والإكراه على حمل شيء ويستثقله بل ويأنف منه وتشمئز منه نفسه كما قال تعالى ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾[2]

مثال ثاني من القرآن الكريم كلمة (يصطرخون) في قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾[3]

فهذه الكلمة بجرسها الغليظ تصور بدقة بالغة غلظ الصراخ المتجاوب من الكفار في كل مكان، فإن الصاد والطاء بما فيها من تفخيم واطباق يصطدم فيه اللسان بأعلى الفم عن اللثة عن نطق الطاء بعبر تمام التعبير عن حال أهل النار الذي يحاولون الخروج من ذلك وهذا هو عين يصطرخون به (ربنا أخرجنا) فإذا بهم يجدونها مطبقة عليهم، تصطدم محاولاتهم وأصواتهم بجدرانها فترتد إليهم خائبة، هذا الأطباق والاصطدام هو ما يوحي به اجتماع الصاد والطاء بها لهذا الاجتماع من سمات صوتية تشبه ذلك الحال كما تلاقي دلالات التضخيم في كل من الصاد والطاء والخاء لتعبر عن ضخامة الصراخ والجؤار لأهل النار كما تعبر الراء بما لها من صفة التكرارية عن تكرر ذلك الصراخ واستمراريته ويتشارك في هذا حرف الواو وبما له من صفة المد والهوى الى غاية سحيقة ليدل على طول الصراخ ثم تأتي النون

---

[1] سورة هود الآية 27 – 28.
[2] سورة الزمر الاية 45.
[3] المرجع نفسه

في النهاية معبرة عن الحزن والحسرة والخيبة التي يؤوب بها الكافر من هذا الصراخ الطويل الدائم العظيم الأليم.

ومن ذلك على سبيل المثال كلمة (صبري) فهي بلا شك ليس لها من انسيابية النطق وجمال الوقع على الأذن ما للكلمة المرادفة لها (جائرة) لكننا نزعم انها في موقعها من قوله تعالى في سورة النجم يخاطب المشركين ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾[1] دالة أبلغ دلالة على المراد وهو فساد القسمة وحيفها يشكل يولد في النفس عند نطق الكلمة وثقلها ونقصها والنفور منها وهي دلالة لا تنفجر من الكلمة السابقة حيث نلاحظ أن النطق بحرف الضاد ومصحوباً بحركة ياء المد يجعل الفم منفتحاً فإذا جاءت الضاد مصحوبة بالمد بالباء فإن ذلك يؤدي إلى انفتاح الفم انفتاحا أفقياً هذه الدرجة أشبه بهيئة المشمئز من الشيء ويزداد الاقتراب في الشبه بهذه الهيئة حينما ينتقل الفم فجاءة من نطق الشيء ذات الكسرة الطويلة إلى نطق الزاي ذات الفتحة مما يؤدي الانفتاح الافقي إلى الرأس ليوحي بهذه الطريقة إلى النفور والاشمئزاز.

فمن المواضيع العجيبة التي تمثل عدولاً صوتياً عن السياق القرآني لفظ مجريها وذلك في قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾[2]وحينما نتأمل سياق هذه الآية نستشعر مدى مناسبة هذه اللفظة لجوها السياقي فالآمر بركوب السفينة متجه إلى المؤمنين من اتباع نوح بركوب هذه السفينة التي لا عهد لهم بها من قبل وهي رأسية على بر ليس فيها قطرة ماء فطمأنهم الله تعالى إلى ان هذه السفينة سوف تجري بمشيئة الله (بسم الله) وان جريها سوف

---

[1]سورة النجم الاية 21، 22

[2]سورة هود 41

(3) د. صلاح فضل، علم الأسلوب، ص 118

يكون سهلاً رخاء بلا معاناة ولا مشقة ومن ثم جاءت الإمالة في مجريها(3) لتغير عن حركة تلك السفينة حيث تشق عباب الطوفان بيسر وسهولة ورخاء.

وحينما أراد الله تعالى ان يطمئنهم لرسوها جاء بلفظ (مرساها) بلا إمالة ليعبر عن حال رسو السفينة وما يناسبه من الثبات والاستقرار ومن ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمَۢا ١٠﴾ يقول المؤلف: نلاحظ في هذه الآية هي الآية الوحيدة في القرآن الكريم التي جاء ضمير الغائب الموصول فيها مضموماً لان القاعدة الشائعة في مجيئه في القرآن هي الكسرة فيقال عليه (بالكسر) لا بالضم وذلك في كما قوله تعالى ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ ٣٧﴾[1] وكما في قوله ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾[2] فإذا تأملنا سياق الآية وجدناها تتحدث عن مبايعة المؤمنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيم لله تعالى في تلك البيعة ووصفها بأنها مبايعة له سبحانه وتعالى وإذا كانت البيعة لله رب العالمين فإن حقها التضخيم والتغليظ والتشديد والتوثيق ولذا جاء الضمير (عليه) مضموماً إشعاراً بالتفخيم، وذلك ما لا يوحي به مجيء الضمير على أصل القاعدة الصوتية لنطق هذا اللفظ في القرآن الكريم فإذا جاءت الهاء في عليه مكسورة كانت اللام في لفظ الجلالة مرفقة، اما حيث جاءت مضمومة فإن اللام لفظ الجلالة تنطق مفخماً فيتناسب تفخيم الجلالة على ما يقتضيه السياق في تعظيم المعاهدة وتفخيم شأنه والتحذير من نكث العهد.

---

[1] سورة الأحزاب الاية 37.

[2] سورة هود الآية 133.

ومن مظاهر العدول الصوتي في القرآن الكريم كذلك العدول بفك الإدغام ﴿يُحۡبِبۡكُمُ﴾في قوله تعالى ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾[1] فالقاعدة الصوتية هنا في الإدغام في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾[2] ويمكننا أن نعلل لفك الادغام في الياء المشددة وما يشعر بمضاعفة محبته تعالى ويبسطها ومدها لمن أحبه واتبع رسوله فالناطق بالكلمة بهذه الطريقة يستشعر في اللفظ تدليلاً وتنغيماً للمخاطبين كما يوحي قرب مخرج الباء الشفوية بتقربهم كما يوحي إسكانهم بما في ذلك من هذه المحبة في طمأنينة القلب وسكينته.

والملاحظ عن الدراسات الحديثة قد تركزت في أغلبها على ما يمكن ان تسميه بلغة الاسلوبية بالاختيار الاسلوبي للأصوات والقيمة الفنية للأصوات.

أثر النبر والتنغيم في دلالة الحركات الجسمية في دلالة الكلام:

من الجدير بالذكر الاشارة إلى عبقري اللغة ابن جنى الذى التفت إلى أثر النبر والتنغيم والحركات الجسمية في دلالة الكلام وهو ما يعرف بسياق الحال وذلك ان تقول في مدح إنسان كان والله رجلاً أي رجلاً فاضلاً كريماً ونحو ذلك [3] وكذلك عبر ابن جنى على اثر التنغيم في تغيير الدلالة [4] ينقل الأسلوب إلى الضد كأن يقول استفهاما فيدخل فيه التعجب فيصره اخباراً او يقول في باب (نفض الأوضاع أوضامها طارئ عليها)

---

[1]سورة ال عمران الاية 31.
[2]سورة المائدة الاية 54.
[3]نادية النجار ص53.
[4]الخصائص 37 – 38

ومن ذلك لفظ الاستفهام إذا ضامة معنى التعجب استحال خبراً وذلك قولك مررت برجل إلى رجل فأنت الآن مخبراً بثناء الرجل في الفضل وليس مستفهماً ويستطرد قائلاً: لفظ الواجب إذا لحقه لفظ النفي عاد إيجاباً وذلك لقوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾[1]

وقوله تعالى:﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[2]

أي لم يأذن لكم. أما دخولها على النفي قال تعالى ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ﴾[3] أي أنا كذلك وإنما كان الإنكار كذلك لأن منكر ألست إنما غرضه أن يحيله إلى عكسه وضده فلذلك استحال به الإيجاب نفياً والنفي إيجاباً) [4]ومن هذا أثر التنغيم كأن يقول الإنسان أيرسب هذا !! وهو ليس مستفهماً وإنما متعجب وكثير ما نجد في الشواهد الشعرية والنثرية في كتب الأدب لظاهرة النبر والتنغيم ومن ذلك نحن العرب أكرم الناس أخلاقاً فقد توفرت عدة قرائن ترجح أن كون العرب منصوباً على الاختصاص إنها منصوبة ومتلوة بأكرم التي يصح ان تكون خبراً للمبتدأ نحن مع عدم صلاحية العرب لأن تكون خبراً بالإضافة إلى ملمح هام هو التلوين الموسيقي إذا يوجد فيها نغمتان مختلفتان.

الاولى تصاحب الجزء الأول من الجملة وتعرف بالنغمة الصاعدة والثانية تصاحب الجزء الثاني في الجملة وتعرف بالنغمة الهابطة ويصاحب الأول فيها وقفة خفيفة بعد الضمير نحن مع نبر قوي على كلمة العرب والثانية تدل على انتهاء الكلام وتمامه ويمكن التنبيه عقب الجزء الأول من الجملة ونقطة من نهايتها هكذا.

---

[1]سورة المائدة الأية 116
[2]سورة يونس الأية 59.
[3]سورة الاعراف الاية 172
[4]الخصائص ج 3 269.

نحن العرب أكرم الناس أخلاقاً [1]

المقام ودوره في تحديد المعنى :

عناصر النظام النحوي هو ما يقدمه علماء الصرف والصوتيات لعلم النحو من المباني الصالحة للتعبير عن معاني الأبواب وتلك الصالحة للتعبير عن العلاقات فليس للنحو من المباني إلا ما يقدمه له الصرف ومن هنا ندرك مدى الترابط بين العلمين حتى ليصبح التفريق بينهما صناعياً لا يبرره إلا رغبة التحليل ونذكر في هذا المجال فكرة المقام وهو الأساس الذى يبنى عليه الشق او الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى ساعة أداء المقال ومن المعروف أن أداء المعنى على المستوى الوظيفي (الصوتي – النحوي – الصرفي) لا يعطينا إلا المعنى الحرفي او معنى ظاهر النص كما يسميه الأصوليون [2]

ومن القرائن ذات الفائدة الكبرى في تحديد المعنى : لقد كان على كرم الله وجهه كان فاهماً حين رد على هتاف الخوارج (لا حكم إلا الله)

بقوله كلمة حق أريد بها باطل وكان يعني أن الناس ربما قنعوا بالمعنى الحرفي لهذا الهتاف، أي ظاهر النص فيصدقوا الخوارج أصحاب قضية يدافع عنها وربما غفل الناس عن المقام الحقيقي الذي ينبغي لهذه الجملة وهو محاولة ألزام الحجة سياسياً بهتاف ديني وكان ينبغي للناس ان يفهموا المقال على ضوء المقام.

ومن قبيل استغلال معني المقال والمراوغة بنفي معنى المقال ما حدث من يهود المدينة لما سمعوا الآية القائلة : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾[3] قالوا

---

[1]كمال بشير، التفكير اللغوي بين القديم والحديث مكتبة الشباب ص 153.

[2]اللغة العربية معناها ومبناها، المؤلف تمام حسان بن عمر، الناشر عالم الكتب، الطبعة الخامسة 206 / عدد الأجزاء واحد.

[3]سورة الحديد الآية (11).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾[1]فقال ابو الدحداح وقد فهم المقام فهماً حقيقياً ان الله كريم أستقرض منا ما اعطانا [2]

ولقد رزق أبوبكر رضى الله عنه القدرة علي حسن الاستشهاد بعد وفاة النبي صلي الله عليه وسلم بقوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[3]

ولقد قال عمر: عند سماعه هذا الاستشهاد وما معناه والله كأني لم اسمع هذه الآية من قبل ولعله حدث في اليوم نفسه من اجتماع السقيفة الاستشهاد يقول طفيل القنوي

جزى الله عنا جعفراً حين أزلفت *** نعلنا في الخافقين فزلت

ابو ان يملونا ولو أن امنا *** تلاقى الذي يلقون منا لملت

هم اسكنونا في ظلال بيوتهم *** ظلال بيوت ادفأت وأظلتي

لقد كان لكل من هذين الاستشهادين أثره الحاسم في إصلاح مقامين من أخطر مقامات الفتنة في التاريخ الاسلامي [4]

ومن المسائل التي تعَّرض لها اللغويون في القديم والحديث مسألة الألفاظ ومعانيها واستقلال الألفاظ في الإيحاء بالمعنى وقد تناول الدراسة كثير من اللغويين عند

---

[1] سورة ال عمران الاية 177
[2]الخصائص 315.
[3]سورة أل عمران الآية (144)
[4]المرجع نفسه

الكلام عن أصل اللغة الإنسانية ونشأتها حيث يرى هؤلاء ان صوت اللغة محاكاة الأصوات المسموعات [1]

كدوى الريح وحنين الرعد وخرير الماء ونهيق الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات على ذلك فيما بعد ومن الأصوات التي تحاكي أصواتها أصوات المدلول أو الشيء المعبر عنه في اللغة العربية مثل قهقهة وقعقع لصوت السيف وقرقر لصوت البط وقوقا لصوت الدجاج.

فاستعمالنا بعض الكلمات من شأنه أن يمنح التركيب كله سمات صوتية معينة او يخلق جواً موسيقياً خاصاً يوحى بالصورة المراد التعبير عنها ويجعلها قريبة ملموسة في ذلك قول الشاعر جرت الخيل فقالت حبطقطق حبطقطق.

وقول البحتري يصف ذئباً يعض أنيابه من شدة الجوع:

يغضغض عصلاً في أسرتها الردى *** كغضضضة المغرور أرعده البرد

وقول على الجندي:

قلب تفضقضه الذكريات **** كما قضفض الظبية القسور

ولا يشترط في الكلمات ان تكون مقلدة للمدلول وانما يشترط في الجملة كلها ان تصاغ صياغة لفظية وموسيقية تناسب المعنى قوة وضعفاً وتوائم الأحداث الجارية في الموقف بأجمعه [2]

ومن أمثلة هذا شطر بيت أمرئ القيس

مكر مفر مقبل مدبر

ويمكن أن تمثل لها كذلك بقول العماد الأصفهاني مبشراً بفتح عكا: جالت خيوله وسالت سيوله وطلعت في سماء الفجاج نجوم عرصاته وقلعت قلائع تلك الجبال

---

[1] دور الكلمة في اللغة أو لمان ترجمة كمال بشر ص12، القاهرة دار غربي للنشر والطباعة.

[2] المرجع نفسه ص 96 – 97 نفسه

جبال فرسانه وحفرت حوافر الصلادم أصلاب الصلاب الصلاد وفصحت بأعراب الحماحم هو أصل الجياد العراب [1]

وقد أشار ابن جنى في خصائصه إلى هذه الصورة الثانية بكلام جميل يدل على العمق والتذوق بقوله: (إنهم قد يضيفون إلى اختيار الحرف تشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها وتقديم ما يضاهي أو الحديث وتأخير ما يضاهي أخره وتوسط ما يضاهي أول الحديث وتأخير ما يضاهي وسطه سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والقرض المطلوب[2]

وذلك كقولهم بحث فالباء لغلظها تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت من الأرض.

دلالة السياق وأثرها في نص الحديث :

يعد التتابع الدلالي والاسنادي من أبرز العلاقات السياقية التي تكون عالم النص وتتحكم في أهدافه فتعمل على سلستها بأسلوب مترابط متماسك واشتراك التراكيب الاسنادية في المحور الدلالي يعكس الإمكانات الذهنية التنظيمية داخل النص ومما يؤكد ذلك حديث ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة يبتغون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم فحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا فإذا تفرقوا وعرجوا وصعدوا إلى السماء قال : فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم، من أين جئتم ؟ فيقولون جئنا من عبادك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويمجدونك ويسألونك جنتك قال: هل رأوا جنتي؟ قالوا لا قال: فكيف إذا رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرون من نارك يا رب قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا لا قال: فكيف لو رأوا ناري ؟

---

[1] الخصائص ج 2 ص162 – 163.

[2]

قـالوا ويسـتغفرونك قـال : فيقـول غفـرت لهـم فـأعطيتم مـا سـألوا واجـرتهم ممـا استجاروا فيقولـون: رب فـيهم فـلان خطـاء إنمـا مـر فجلـس معهـم قـال: فيقـول لـه غفرت هم القوم لا يشق ى بهم جليسهم. [1]

يـدور هـذا الحـديث حـول فكـرة محوريـة أساسـية هـي فضـل مجـالس الـذكر ولتأكيـد هـذه الفكـرة وتوضـيحها تتـابع التراكيـب الاسـنادية مشـكلة مجموعـة مـن الـدوائر الاسـنادية المترابطـة، يقـول المؤلـف نلحـظ ان الحـديث تضـمن مجموعـة مـن الـدوائر الاسـنادية التـي تنقـل الـدلالات وتربطهـا ببعضـها الـبعض فهـذا التـدوير الاسـنادي يعـزز قيمـة التتـابع [2] الـدلالي للتراكيـب فـي فهـم الـنص ولفـت الأنظـار للمسـتقبل إلـى أهميـة المضـامين الدلاليـة التـي يتكـون منهـا الحديث ونجد فيه كثير من التقنيات:

1/ سـاعدت فـي توظيـف أسـلوب الاسـتفهام فـي عمليـة التوصـيل والتـأثير والاقناع.

2 / تكـرار الاسـلوب نفسـه يسـهم فـي تكـوين البنيـة الحواريـة التـي تمثـل جانبـاً مـن جوانب الامتداد المنطقي [3]

---

[1]مدغمش جمال عبد الغني للأحاديث القدسية ص 9

[2]بابكر النور زين العابدين، مجلة اللغة العربية جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد الثاني

[3]المرجع نفسه

الخاتمة

الخاتمة:

الحمد لله الذي أعانني ووفقني لكتابة هذا البحث بعنوان دور ابن جني في إثراء اللغة من خلال نماذج من كتابه الخصائص وقد اتبعت المنهج الوصفي الذي يلائم الدراسة ويحللها وهدفت من البحث التعرف على جهود ابن جني وعبقريته ودوره في تأصيل اللغة والوقوف على كتاب الخصائص.

وخرجت بنتائج أهمها:

1. ابن جني من أبرز علماء اللغة العربية.
2. تفرد ابن جني بجهود لم يسبق لها.
3. يعد ابن جني من أوائل الذين أثّروا في اللغة وأثروها.
4. كتاب الخصائص يشتمل على أهم عناصر اللغة والدلالة.

وأوصي الباحثين:

1. دراسة الجوانب الصرفية في كتاب الخصائص.
2. دراسة دلالة الأصوات وكيفية نطقها.
3. الوقوف على جهود ابن جني الأخرى من خلال كتبه اللغوية.

والله الموفق

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب:

1. ابراهيم انيس في اسرار اللغة، الانجلو القاهرة، ط4، 1973م
2. الخصائص تحقيق عبد الحميد هنداوي، ج1
3. الخصائص لابن جني تحقيق النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، ج2.
4. العربية القديمة ولهجاتها، عادل محاد مسعود مريح، المجمع الثقافي ابو ظبي، الامارات العربية المتحدة اللهجات العربية نشأة وتطور، الصاحبي في فقه اللغة ابن فارس
5. الفسر شرح ابن جنى الكبير على ديوان المتنبي صفة ابن جني تحقيق رضا رجب
6. اللسانيات المعاصرة، اللسانيات العربية، مختار درقاوي، الناشر Alpha Doc.
7. اللغة العربية معناها ومبناها، المؤلف تمام حسان بن عمر، الناشر عالم الكتب، الطبعة الخامسة / عدد الأجزاء واحد.
8. اللغة وانظمتها بين القدماء والمحدثين د. نادية رمضان النجار مراجعة وتقديم د. عبد الراجحي
9. المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، ط3، دار المعارف.
10. المدخل لعلم اللغة د. رمضان عبد التواب، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3 1417هـ – 1997م
11. المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي.
12. المؤلف احمد بن فارس بن زكريا الغزويني، الرازي ابو الحسين المتوفى سنة 395هـ، الصاحبي من فقه اللغة وسنن العرب، الناشر محمد على بيضون، ط 1، 418هـ، 1997م.
13. النصوص اللغوية نصوص من كتابي الخصائص والمزهر في علوم اللغة د. مازن المبارك مطبعة دار الفكر
14. الوجيز في فقه اللغة محمد الانطاكي، الطبعة الثالثة، منشورات دار الشرق.
15. تحفة الأريب في نحاة مغني الليبي، تأليف جلال الدين بن عبد الرحمن ابن ابي بكر السيوطي دراسة وتحقيق د. حسن المليح ود نهى نعجة.
16. د. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ط، عالم الكتب، 1998م

17. دراسات في أصول اللغات العربية بقلم المؤلف عبد العزيز عبد الفتاح عبد الرحيم بن الملاء القارئ المدني محمد عظيم الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط 6، العدد الثالث رجب 1394هـ.
18. دراسات لغوية في امهات كتب اللغة، المؤلف أ. د. ابراهيم محمد ابو سكين
19. دور الكلمة في اللغة أو لمان ترجمة كمال بشر، القاهرة دار غربي للنشر والطباعة.
20. علم التصريف، دراسة من فكر بن جنى د.شهاب النمر اسماعيل، دار الافاق العربية.
21. فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي.
22. فقه اللغة، محمد المبارك، ط2، 1964م، دمشق
23. كمال بشير، التفكير اللغوي بين القديم والحديث مكتبة الشباب
24. لمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، اللغة وانظمتها بين القدماء والمحدثين، د. نادية رمضان النجار، مراجعة وتقديم د. عبده الراجحي.
25. مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي د. نور الهدي لوشن استاذة مساعد في جامعة الشارقة – المكتبة الجامعية الازاريطة الاسكندرية.
26. مجلة اللغة العربية جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد الثاني أعداد أ. د. بابكر النور زين العابدين
27. مقدمة لدراسة علم اللغة ميشال زكريا بحوث السنية عربية تحقيق د. حلمي خليل

فهرس الموضوعات

م	عنوان الموضوع	رقم الصفحة
.1	البسملة	أ
.2	الاستهلال	ب
.3	الاهداء	ج
.4	الشكر والعرفان	د
.5	المستخلص	هـ
.6	Abstract	و
.7	فهرس الموضوعات	ز
.8	فهرس الآيات	ط
.9	المقدمة	1
.10	منهج الدراسة	2
.11	هيكل البحث	2
	الفصل الأول	
.12	المبحث الأول: ترجمته، شيوخه، صفاته، مذهبه اللغوي، مذهبه النحوي، مذهبه الكلامي، أثر بن جني فيمن بعده، صحبته المتنبي، مكانة العربية في نفسه	4
.13	المبحث الثاني: ابن جني وكتابه الخصائص	16
	الفصل الثاني **اللغة نشأتها، تصريفها ولهجاتها**	
.14	المبحث الاول: مراحل ونشأة اللغة واراء العلماء عن أصل اللغة وتعريف العلماء الأقدمين والمحدثين في اللغة العربية	22
.15	المبحث الثاني: تعريف علم اللغة ومجالاتها	35
.16	المبحث الثالث: اللهجات العربية واختلافها	38

الفصل الثالث **التصريف عند ابن جنى**		
.17	المبحث الاول: التصريف والاشتقاق عند ابن جنى	42
.18	المبحث الثاني: الدراسة الصوتية ودلالتها	59
الخاتمة		
.19	الخاتمة	79
.20	النتائج	79
.21	التوصيات	79
.22	المصادر والمراجع	80

فهرس الآيات

م	بداية الآية	رقم الصفحة
1.	الْحَمْدُ للَّه الَّذي أَنْزَلَ علَى عَبْده الْكتَاب	1
2.	إذا السماء انشقت	20
3.	إنَّ الَّذين تدْعُونَ منْ دُون اللَّه عبادٌ أَمْثَالُكُمْ	20
4.	وكَذَلكَ زيَّنَ لكَثير منَ الْمشْركينَ	21
5.	والَّذين لَا يشْهدُونَ الزُّور وإذَا مرُّوا	25
6.	وعلَّم آدم الْأَسْماء كُلَّها	26
7.	وإنَّه لَتنْزيل ربّ الْعالَمينَ (192) نزَلَ به الرُّوحُ	27
8.	وأَنْذر عشيرتَكَ الْأَقْربينَ	41
9.	وما أَرْسلْنَا منْ رسُول إلَّا بلسَان	41
10.	وتَصْريف الرياح والسَّحاب الْمسخَّر	42
11.	انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَات ثُمَّ هُمْ يَصْدفُونَ	42
12.	سلَاسلَ وأَغْلَالًا وسعيرا	50
13.	أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسلْنَا الشَّياطينَ علَى الْكَافرينَ تؤُزُّهُمْ أَزًّا	55
14.	فيهما عينَان نضَّاختَان	65
15.	فَقَالَ الْملَأُ الَّذينَ كَفَرُوا منْ قَوْمه ما نَرَاكَ إلَّا بشَرًا	68
16.	وإذَا ذُكرَ اللَّه وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذينَ لَا يؤْمنُونَ	69
17.	والَّذينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهمْ	69
18.	أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى	70
19.	وقَالَ اركَبُوا فيهَا بسْم اللَّه مجْرَاهَا	70
20.	إنَّ الَّذينَ يبَايعُونَكَ إنَّمَا يبَايعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّه فَوْقَ أَيْديهمْ	71
21.	وإذْ تَقُولُ للَّذي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْه	71

.22	فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ	71
.23	قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ	72
.24	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ	72
.25	أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ	73
.26	قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ	73
.27	أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ	73
.28	مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا	75
.29	إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ	75
.30	وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ	75